الزمن الردیء

ثائر الناشف

الزمن الردیء

ثائر الناشف

الكتاب : الزمن الرديء (مسرحية)

المؤلف : ثائر الناشف

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٠٩

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٥٠٢٢

الترقيم الدولي : N.B.S.I: 978 - 977 - 6284 - 67 - 0

الناشر

شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة

ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤ (٠٠٢) - ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥/٦٤ (٠٠٢)

www.shams-group.net

تصميم الغلاف : محمود ناجيه

الزمن الرديء

مســـــــــرحية

ثائر الناشف



شخصيات المسرحية

مالك	:	فنان ورسام عربي
سلام	:	محررة وكاتبة ، من الإمارات
هلا	:	صديقة سلام ، من الإمارات
صابر	:	صديق مالك ، من سورية
إسماعيل	:	مدرس ، من فلسطين
إلياس	:	صحافي ، من لبنان
زياد	:	مسؤول السكن في البرج ، من اليمن
يعقوب	:	مصور تلفزيوني ، من المغرب
هاني	:	مهندس ، من العراق
عمران	:	رئيس تحرير جريدة البقاء ، من الإمارات
جمال	:	مساعد رئيس التحرير ، من الإمارات
تيسير	:	محرر في الجريدة ، من مصر
عماد	:	ابن عمة سلام ، من الإمارات
والد سلام	:	
والدة سلام	:	
سعيد	:	طبيب ، من سورية
سونيلا	:	نادل ، من الهند
	:	نادل آخر في الكافتيريا

▪ الفصل الأول

المشهد الأول

(يدخل مالك إلى غرفة كبيرة مؤلفة من خمسة أسرة وعلى كل سرير يجلس شخص، وفي وسطها طاولة وثلاثة كراسي)

مالك (لاهثًا): أسعد الله صباحكم، هل السيد صابر موجود ؟

(ينهض صابر من سريره مبتهجًا بمجرد سماعه صوت مالك)

صابر(معانقًا مالك) : ما هذه المفاجأة العظيمة؟، مالك بظله الطويل يقف أمامي، لا أكاد أصدق ما أرى وأسمع، تلألأت الشارقة بوجودك، لكن ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

مالك (مبتسمًا): أولاً وقبل أن أنبس ببنت شفة، الواجب يحتم عليّ إماطة اللثام عن نفسي، ليس لك، إنما لأجل إخوانك، أيها الإخوة الكرام، أنا أدعى مالك، ولا أملك من هذه الدنيا الفانية شيئًا سوى ريشتي، أتيت لهذه البقعة الغنية بالنفط على أمل مغالبة أثقال الحياة ونكدها المر، بعد أن سمعت كثيرًا عن ثراء أهلها الفاحش، الذي يتسرب إلى جيب كل مفلس خائر يأتي إليها مهرولاً، فما قولكم ؟.

إسماعيل (ينفث بالنرجيلة) : قبل أن أجيب على تساؤلك، أود التعريف بنفسي، أخوك إسماعيل من فلسطين، سأجيبك من حيث

أنهيت سؤالك، كوني الأقدم بين الإخوة في هذه الديار التي تسميها بالثرية، وبالتالي أنا أعرف بما لها وما عليها، لقد صار لي هنا أكثر من خمسة أعوام، وإذا كنت تملك ريشة، فأنا أحسدك عليها، فهذا جيد، كما ترى بأم عينيك، ليس أمامي سوى هذه النرجيلة، هي كل ما أملك.

مالك (يجلس على الكرسي والقلق مرتسمًا على وجهه): لا يعقل ما تقوله يا إسماعيل، أعذرني لا أصدق ما قلت، أين أنفقت مدخراتك كي لا يبقى لك منها سوى ثمن إشعال هذه النرجيلة اللعينة ؟.

إسماعيل (شاردًا) : الحياة هنا مكشوفة،أمورها تسير على بساط أحمدي الجزء الأكبر من معاشي يحال إلى عائلتي المقيمة في الأردن، وعما قريب ستعرف من تلقاء نفسك، لما لم أجلب أسرتي للإقامة معي.

صابر (بحدة) : بالله عليكم دعونا من هذه الأحاديث المنغصة التي تقطع الرزق ولا توصله.

مالك : بل هي ضرورية جدًا، على الأقل ليعرف الواحد منا ما سيخسره وما سيربحه في نهاية رحلته الطويلة، أم تراه يعود من حيث أتى بخفي حنين ؟.

صابر (بخبث ودهاء): اطمئن فأنت ستربح كثيرًا في رحلتك هذه، طالما أن ريشتك لا ترحم أحدًا من أهل السياسة وطغاتها، الكل سيهرع إليك طالبًا رضاك على ألا تشحذ ريشتك ضده.

مالك : وماذا لو حطموا ريشتي أو كبلوها بالأغلال ؟ من سيعوضني حينها ؟ غالبًا ما تجري الرياح بعكس ما تشتهي السفن.

إلياس : استفساراتك وجيهة وفي محلها الصحيح، لكن من المبكر جدًا التكهن بما ستحمله الأيام القادمة لك، عذرًا... أنا إلياس من لبنان، وأعمل صحافيًا.

صابر : حتى الآن لا أعلم كيف استطعت المجيء إلى هنا، الكل يحسب لك ألف حساب، أم تراهم عفو عنك على مبدأ قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق ؟.

مالك (بثقة): أتيت كما يأتي أي شخص، بدون إكراه أو إجبار، ثم من أنا حتى تحسب أنفاسي شهيقًا وزفيرًا، وكل خطوة أخطوها طلوعًا ونزولاً، لماذا تريد إشعار الإخوة بأني رسام مشاكس فار من واقع عشته أنت معي وذقت مرارته ؟.

صابر : لكنك لا تستطيع أن تنكر أنك جئت هاربًا أو شبه هارب، وقد لا تكون المادة من صلب أولوياتك.

مالك : (يمشي خطوتان ويقف في منتصف الغرفة) إذا كان يرضيك ما سأقوله، سأقول أمامكم بأني في الجنة الآن؛ نعم في الجنة، وأظن أن الهروب منها لا ينفع، لأن الدخول إليها ليس كالخروج منها، ولا يتم إلا بعد السير على طريق طويلة، صحيح أن من يدخلها لا يبحث عن المادة، لأن ما فيها أعلى من المادة، فما تراه العين من ثمرات

ينسيها المادة، جنتي تعني القفز من واقع إلى آخر أفضل حالاً، طبعًا من ينجح في إنجاز القفزة سيلاقيه واقع جديد لم يدركه قبلاً، وإذا فشل، سيسقط في حفرة واقعه الآسن.

إلياس : فضولي يدفعني لمعرفة أي نوع من الرسوم ترسم، لأفهم مغزى ما قصده صابر بأن ريشتك لا ترحم في رسمها أحدًا من أهل السياسة الذين يمارسون الانتهازية ضد أهليهم.

مالك : أرسم الكاريكاتير السياسي والاجتماعي، وهو يتمم ما يخطه قلمك، عندها تتكامل صورتي مع نصك، أي رسمي مع كلماتك، فالكلمة تموت بدون صورة تحركها، وحبذا لو كانت الصورة رسمًا نابعًا من وجدان راسمها، تمامًا كما تخرج الكلمة من رأس كاتبها، أما الصورة الملتقطة بعدسات الكاميرا فهي جامدة، خصوصًا إذا كانت لأحد مسؤولينا؛ على رغم أهميتها لتوثيق الحدث.

إلياس : هل تقصد الفرق بين الصور والرسوم، أن الأولى ظاهرية جمالية والثانية نقدية ساخرة ؟.

مالك (مشيرًا بيده): تمامًا، هو ما قصدت، حتى الكاريكاتير يريد بعض الحشريين أن يفقدوه بريقه، عبر تحويله إلى صورة تُضحك المشاهد دون أن يفهم السبب الذي دفعه إلى الضحك، لأنه لم يعد يفهم أبعاده والمضامين التي يحتويها من سيكولوجية وسياسية واجتماعية، فضلاً عن مضمونه الفني الأرقى.

صابر : ما تقوله لا غبار عليه، لكن عليك أن تغير قناعاتك أو تتخلى عنها لبعض الوقت في عملك الجديد، أنت حر في العودة إليها متى أردت، بشرط أن تكون خارج حلقة العمل.

إسماعيل (محذرًا بسبابته): وإلا عليك العودة من حيث أتيت، ما تريد أن تقوله أو ترسمه احتفظ به لنفسك ولا تكشف عنه للآخرين، لا أريد أن أدفع بك إلى الإحباط، لكنها الحقيقة المرة التي لا تقبل بما عداها من حقائق.

مالك (بحدة): إذًا هي عقلية واحدة لا تفارق رأس العرب، حكامًا كانوا أو محكومين، ألم تقل لي يا صابر إن هذه الديار ترحب بكل المبدعين العرب، ولكل مجتهد فيها نصيب.

صابر (بثقة): بلى، اعترف ولا زلت اعترف بما قلته لك ذات مرة في اتصال هاتفي بيننا منذ عام، يا صديقي، المبدع هنا أيًا كان إبداعه يلقى تقديرًا واحترامًا كبيرًا يكافئ عليه ضمن حدود معينة، والفرق شاسع بين مَن يحترم المبدع ومَن لا يحترمه، هذا ما قصدت.

مالك (بأسف شديد): بكلامك هذا لا أقول أنك خدعتني، بل زدتني إحباطًا منذ اليوم الأول، إذ جعلتني اعتقد أن المبدع هنا مثله مثل أي عامل عادي يؤدي واجبه على أتم وجه تجاه رب العمل دون زيادة أو نقصان، في الزيادة يُسأل، وفي النقصان يُحاسب.

(يدخل هاني)

هاني : السلام عليكم

صابر : أهلاً بأخ العرب، قبل أن أسألك عما أوصيتك به، أود تعريفك بصديقي الفنان مالك (يشير إلى مالك) رفيقنا المهندس هاني من العراق.

هاني (يصافح مالك) : يعز علينا حضورك الكريم وتشريفك لنا.

مالك (مبتسمًا): شكرًا لمودتك الطيبة.

صابر : والآن يا هاني، أين المجلة العقارية التي وعدتني بإحضارها ؟.

مالك : عذرًا على المقاطعة، أعلم أنك تعمل مصممًا في إحدى الشركات الإعلانية، ما دخل المجلة بذلك ؟.

صابر : تركت العمل في مجال التصميم وانتقلت إلى قسم تحرير الإعلانات وإعدادها، ولأن خبرتي في التحرير ضعيفة جدًا فأنا بحاجة لمتابعة ما ينشر في المجلات ذات الطابع الإعلاني.

هاني (يجلس على سريره والإرهاق باديًا على وجهه): اعترف بأني وللمرة الثانية أخلفت بوعدي لك، غريب أمرك يا صابر يهمك متابعة أخبار ما يُبنى من أبراج وجسور، ولا يهمك أن تسأل ما يُهدم ويُدمّر في العراق.

مالك (آسفًا بحزن):أتريد من إخوانك أن يتذكروا صور الدم والدمار والقبور في العراق وهم لم يصدقوا أنفسهم كيف نسوها في فلسطين؟

إسماعيل (ينهض من سريره غاضبًا ويقف أمام مالك): تشبيهك غير منطقي كيف تبرد دماء الفلسطينيين تحت مراجل الاحتلال؟ قد ننسى أحيانًا ما ابتلينا به، لكن لا ننسى حقيقة أن الدم العربي رخيص في نظر ما هو غير عربي، ولا يساوي ثمن الآلة التي تهرقه، هذا ما يحدث في العراق.

إلياس (يقف معاتبًا ويمسك بيد إسماعيل لتهدئته): ربما كان السبب، خسة العرب ونذالتهم، فبلدي الصغير لبنان ارتوت جباله وسهوله بدماء أهله وعلى يد أهله، وتحولت عاصمته الفريدة بيروت إلى مدينة أشباح على مدار سنوات الحرب الأهلية، لأسباب كان بالإمكان تلافيها لو تُرك للعقل مكانًا وسط زحمة الغرائز الهائجة وصراع الطوائف التي قالت كلمتها وفعلت فعلها الأسود فينا.

هاني (متوجهًا برأسه إلى السماء): وهذا ما أخشى انتقاله إلى العراق في كل وقت، الخوف كل الخوف أن نفتك بعضنا بعضًا والعالم من حولنا يشاهد، غير آبه بعدوى العنف التي دبّ نارها بيننا.. أي صورةٍ قاتمة يمكن لكم رسمها عن العراق مستقبلاً ؟.

مالك : أتقصد بالصورة التي تتبلور في رأس الرسام قبل أن يشرع في رسمها على لوحته ؟.

هاني : نعم، هذا قصدي.

مالك (يمشي في أرجاء الغرفة): ولماذا تصر على أنهـا قاتمـة ؟ قـد لا تكون كذلك كما يتهيأ لك، فرغم الدمار الماثل أمامنا، لـو عـدنا إلى الماضي قليلاً لوجدنا أن بلـدًا كـالعراق تاريخـه حافـل بالصـراعات والحروب، وهذا عائد إلى طبيعة العراقيين أنفسهم الميالة إلى العنف، جميع الحضارات الـتي تعاقبـت علـى أرض العـراق تـذخر المتـاحف بصور الحروب والمعـارك، أمـا عـن صـورة العـراق الـتي في رأسـي، واقعية لا تجنح إلى الخيال، تراوح في مكانها.

صابر(بحدة) : كيف تراوح مكانها رغم الواقعية الـتي أشـرت إليهـا، الواقعية تقتضي السير قدمًا إلى الأمـام، وعـدم المراوحـة والنظـر إلى الوراء.

مالك : لا ادري من أسلم فهـم الواقعيـة بيننـا، هـي بالنسـبة لـي أن احـتلال العـراق واقـع مأسـاوي للـبعض ومفيـد للـبعض الآخـر، مأساوي لأنه أخرج مارد العنف من قمقمه، ومفيـد لأنـه أزاح جبـل الديكتاتورية عن كاهل البعض.

هاني (يقف متحسـرًا): وكأنـه مكتـوب علـى أهـل العـراق الحـزن والكمد، فما من همٍ يزول حتى تشب على أنقاضه هموم أخرى.

مالك (يعانق هاني مواسيًا): جزاك الله خيرًا، أصبت كبد الحقيقة.

صابر : دعونا من السياسة وهمومها الـتي لا تقـدم ولا تـأخر لحالنـا شيئًا.

إلياس(يشير بيـده معاتبًـا): حالنـا لا تتزحـزح بـدون سياسـة، رغـم تفاهتها أمام الاقتصاد الذي تحب يا صـابر، فـإن مصـالحنا رهينـة لهـا، بدل أن نُسيس مصالحنا كما نشاء، صارت مصالحنا هـي مـن يسيسـنا ويتحكم في قراراتنا.

صابر : قل مـا تشـاء، فلنضـع حـدًا لهـذا النقـاش قبـل أن يسـتفحل ويتحول إلى جدل بيزنطي عقيم.

هاني : يستحيل أن تتغير طباعك يا صابر، تفتح أبـواب الحـوار دون أن تعرف كيف ستغلقها.

مالك (ضاحكًا): بالفعل هذا ما اعتدت عليه معك يا صابر.

صابر (بحدة) : لو تفضلتم لنخرج من الحديث بشكل نهائي.

(يدخل زياد)

زياد : مرحبًا يا أبناء العمومة.

صابر: أهلاً بك جئت في الوقت المناسب، (يشير لمالك) زعيمنا زياد من اليمن السعيد، يشرف على جميع أمور السكن في هذا البرج.

مالك : ممتاز، أستطيع إذًا، الاعتماد عليك في تأمين سكن مناسب.

زياد : آه، طبعًا، بكل سرور، تسـتطيع مـن اللحظـة أن تقـيم في هـذه الغرفة مع الإخوة، وأتمنى أن تطيب إقامتك بيننا.

مالـك : سأحضـر أمـتعتي بعـد الانتهـاء مـن العمـل في الجريـدة، استودعكم الله.(يخرج)

المشهد الثاني

(الجريدة)

(يدخل مالك إلى غرفة رئيس التحرير)

مالك : السلام عليكم.

عمران (يومئ برأسه متثائبًا): وعليكم السلام، أظنك السيد مالك الذي حدثتني قبلاً بشأن العمل لدينا.

مالك : نعم، وها قد أتيت ملبيًا دعوتكم الكريمة.

عمران : تفضل بالجلوس.

مالك : (يجلس) شكرًا لك.

عمران (يشعل سيجارًا): ما هي أهم المواضيع التي تحاول التركيز عليها في رسوماتك ؟.

مالك : عمومًا أركز على الموضوعات السياسية، وقليلاً على الاجتماعية، أما الاقتصادية؛ نظرًا لمحدودية انتشارها؛ أحاول دمجها بالسياسة لشدة الترابط العضوي القائم بين السياسة والاقتصاد.

عمران (ينفث دخانًا بوجه مالك): ما قلته أوافقك عليه، رغم أنك في بلد اقتصادي، والاقتصاد عندنا العصب الرئيس الذي يقوم عليه كيان الدولة، ولولاه لما أتيت لهنا تطلب عملاً ودخلاً أفضل، أم تراني مخطئًا ؟.

مالك (مبتسمًا): بكل الأحوال يعز عليّ، أنا العربي بالحضور إلى بلد عربي شقيق هو بلدكم، بعيدًا عن جميع الاعتبارات الأخرى من مالية واقتصادية وما إلى ذلك، ما يهمني أن لا تموت عقيدتنا التي نحملها في ذاتنا، وإلا فقدنا مبررات وجودنا.

عمران (ساخرًا): أراك تتحدث بلغة الخمسينات والستينات البعيدة كل البعد عن واقعنا.

مالك (يقف غاضبًا): لا خمسينات ولا ستينات، لكنه واقع حي غير وهمي لا يمكننا الهروب منه مهما حاولنا فهو مغروس فينا منذ أمد بعيد، الأفعى الرقطاء تبدل جلدها باستمرار لتتكيف مع بيئتها الجديدة، وذلك عائد لأسباب فيزيولوجية، فهل تغيير جلدها يعني أنها رغم مكرها ودهائها انسلخت عن واقعها ؟!.

عمران (بخمول وتلعثم): أي واقع تعني. لم أفهم شيئًا مما قلت.

مالك (بحدة): واقعنا العربي، ألم تقل قبل قليل بأني أتحدث بلغة الستينات، ففي الستينات راجت فكرة العروبة في الأوساط الشعبية وبشكل لا يصدق..

عمران (مقاطعًا): وهل لا زلت تؤمن بكفر؛ عفـوًا؛ بفكـر العروبـة وتعبر عنه في رسوماتك؟.

مالك (يجلس منزعجًا) : العروبة بالنسبة لي أكبر من أن تعني هويـة أضعها في جيبي، أو شعار أتغنى به كمـا يرفعـه القوميـون أصـحاب النظرية القومية، وهي أوسع من مفهوم البداوة وعاداتها الطيبة، إنها حالة قديمة تسبق جميع الحالات الجديدة الطارئة من قوميـة مسـتهلكة أو بداوة متحضرة، هي الجذر الضارب في أعماق الأرض، أما الفروع التي نرى آثارها اليوم، لا تعنيني كثيرًا مهما أساءت للجذر، لا تسـيء سوى لنفسها، فهي زائلة أما الجذر فباقٍ.

عمران : دعنا من هذا الموضوع الذي تطول حلقاتـه ولا تنتهـي، بنـاءً على ما فهمت، سأخصص لك مجالاً في صفحة الرأي، فهي بحاجة إلى كاريكاتير يومي، فبدون رسوم تغدو الصفحة جامدة.

(تدخل سلام)

سلام : أنعم صباحًا.

عمران (يستقيم في جلوسه): الصـباح بـدونك لا خـير فيـه، زميلنـا الجديد مالك، فنان ورسام كاريكاتير سينضم إلى العمل معنا اعتبـارًا من اليوم.

سلام (تجلس قبالة مالك) : أهلاً بك زميلاً عزيزًا علينا، وأرجو لك التوفيق في عملك.

عمران (يشير بيده لمالك): الآنسة سلام محررة وكاتبة ثقافية تميـل إلى السياسة أحيانًا عندما تكون مواضيعها ساخنة.

سلام : ومنذ متى كانت السياسـة في عالمنـا العربـي بـاردة، مقياسـها الحراري دائمًا بارتفاع حد الانفجار.

مالـك (يـومئ برأسـه مبتسـمًا): نعـم، نعـم، السياسـة عنـدنا أشـبه بالبركان الثائر، فإما أن يخمد فجأة أو يلقي بحممه الثقيلة تجاهنا.

(يدخل سونيلا)

سونيلا : أستاذ عمران.. أخبرني السيد ناجي أنه ينتظـر زيارتـك لـه بفارغ الصبر في مركز دراساته الجديد.

عمران (ينهض من وراء طاولته متثاقلاً): آه، نعـم لقـد فـاتني ذلـك، عن إذنكما، على أي حـال تسـتطيع الاتكـال علـى زميلتـك سـلام، واستشارتها بكل ما يتعلق بالجريدة وبعملك، إلى اللقاء. (يخرج)

سلام : انتظر قليلاً يا سونيلا، ماذا يحتسي الأستاذ مالك ؟.

مالك : أرغب باحتساء القهوة.

سلام : إذًا، أحضر لنا كوبين من القهوة الساخنة.

سونيلا : سأحضرها حالاً. (يخرج)

سلام : كم صار لك في دبي ؟.

مالك : منذ ثلاثة أيام.

سلام : وهل تقيم هنا ؟.

مالك : لا، بل أقيم في الشارقة مع مجموعة من الأصدقاء العرب تعرفت إليهم من خلال أحد أصدقائي.

سلام : أي نوع من الكاريكاتير ترسم ؟.

مالك : غالبًا في مجال السياسة.

سلام : هل سبق لك أن عملت في جريدة أخرى ؟.

مالك (عابسًا): أنتم أول جريدة أتعاقد معها رسميًا، في السابق أقمت عددًا من المعارض في أكثر من بلد عربي، وجميع المواضيع التي طرحتها كانت سياسية بامتياز، ولشدة الواقع الذي عكسته، منعت من دخول بعض البلاد العربية، لذا، أرجو أن ينتظم عملي معكم.

سلام : هذا يعني أنك تتعمد تشويه صورة الحكام، بدلاً من أن تشوه صورة خصومهم.

مالك (بحدة) : ومَن هم الخصوم؟ قد نكون نحن خصومهم، أراهن أنهم يعتبروننا أشد خصومهم، أتريدين مني تشويه صورتي وصورتك إرضاءً لهم ؟ إن فعلنا هذا نكون كمن ينقد نفسه ولا يجرؤ على نقد الخطأ وهو يراه كما يرى الشمس بعينه، اعلمي بأني لا أتخذ من الفن وسيلة للتشويه والتجريح، للآن لم أشوه صورة أي حاكم؛ ولن أفعل، لكني أنقد وأحرك مياههم الراكدة فينا، قدر ما استطعت.

سلام : كلامك بدأ ينفض الغبار المتراكم حول رأسي ويثير الزوابع في نفسي، كيف نكون خصومهم ونحن نعيش في كنفهم ونتفيأ تحت ظلالهم، أين ذهب خصومهم الذين يجيشون الجيوش لردعهم، إذا كنا الخصوم، فهذا يعني أننا الذئاب وهم الحملان.

مالك (مطأطئًا رأسه بأسى): عندما يدخلون التاريخ من ذات البوابة التي خرجوا منها، عندها سيكون لهم خصوم أشداء غيرنا، يبدو أن الخروج من التاريخ في هذا العصر الصعب أفضل من الدخول إليه، لذلك تجدينهم كأهل الكهف يغطون في نوم عميق هانئ ويحيطون غرف نومهم بحرس قديم لا ينام، خشية أن نقرع بابهم، ونقول لهم.. هيا عودوا بنا إلى التاريخ الذي ورثتموه عن أجدادكم ولم تحافظوا عليه.

(يدخل سونيلا حاملاً القهوة)

سونيلا : تفضلا القهوة.

سلام : شكرًا يا سونيلا.

(يخرج سونيلا).

سلام : لقد أثرت فضولي بمعارضك التي على ما يبدو أنها شديدة النقد والتحريض، حبذا لو تحضر لي بعض رسوماتك التي عرضتها سابقًا.

مالك : لكِ ما أردت، في المرة القادمة سأجلب ما هـو موجـود لـدي، وتأكدي أنـك سـتعتادين علـى رؤيـة رسـومات أخـرى، أشـد نقـدًا وتحريضًا سأنشرها في هذه الجريدة.

سلام : ولهذا تتمنى الانتظام في عملك معنـا، أنـا مـع حريـة الـرأي والتعبير في أي مجال ونحو أي موضوع، لكـن ضـمن سـقف محـدد لا يشكل تجاوزه انتهاكًا لخصوصيات الآخرين.

مالك (مشيرًا بيده): حريتك تبنيها على المبدأ القائل.. تنتهي حريتنا عندما تبدأ حرية الغير.

سلام (تومئ برأسها): نعم، هكذا يجـب أن تكـون تصـوراتنا حـول مفهوم الحرية.

مالك : بكل الأحوال، مفهوم الحرية لا يتحدد بمبدأ أو مبـدأين، لأنـه فضفاض، فأي اتجـاه يمكـن لـك أن تـذهبي إلى نهايتـه، بـالقول إنهـا حريتك، بينما يخالفك آخر بالقول إن الاتجاه القويم هو الاتجاه الذي يسلكه، والنتيجة الدخول في دوامة من الجدل الطويل اللامتناهي.

سلام : هذا يعني أن الحرية في اعتقادك مطلقة وليسـت نسـبية، طالمـا اعتبرتها فضفاضة؟.

مالك (معلقًا بهدوء) : مَن يقول بأن الحرية مطلقة يعـني أن الكـون مفتوح على بعضه بدون قيود أو حدود، يسـتطيع الحصـول علـى مـا يريد واستباحة ما يشاء، وقطعًـا الضـعيف لا تتـاح لـه رؤيـة العـالم

مفتوحًا، بينما القوي يسوده اعتقاد مسبق بأن قوته المطلقة تدعمها حرية مطلقة تشحذها وتدفع بها للسيطرة على ما تريد، ويبدو لها الكون صغيرًا، علمًا أنها أحد أجزاءه، أما الحرية النسبية فبعكس المطلقة تمامًا.

سلام : أحيانًا الضعيف يطالب بالحرية المطلقة من موقع أنه لا يوجد ما يخسره، وليس كل الأقوياء شرهين في امتلاك كل شيء.

مالك (يلتفت يمينًا وشمالاً ويتأفف): ما قلته حول مفهوم الحرية، تعمدت قوله من وجهة نظر سياسية بحتة، تنظر إلى العالم وكأنه ملعب يتبارى فيه الأقوياء على ملعب الضعفاء، كما قلتُ لكِ، وأُصر على ما قلت وأتحمل مسؤوليته... مفهوم الحرية مفهوم فضفاض.

سلام : اشرب قهوتك، لقد بردت.

مالك (مبتسمًا): القهوة مذاقها ألذ عندما تبرد.

سلام : كما تشاء.

مالك : بعد قليل سأباشر عملي في صفحة الرأي، فهلا اصطحبتني إليها ؟.

سلام : بكل سرور، وأنا ذاهبة أيضًا لأن بحوزتي مقالاً، وسأسلمه للأستاذ جمال.

مالك : فلنذهب إذًا.

سلام : هيا تفضل. (يخرجان)

المشهد الثالث

(يدخل مالك وسلام إلى مكتب صفحة الرأي)

جمال : أهلاً سلام.. ما الجديد ؟.

سلام (تجلس): الجديد أن جريدتنا قررت بالإجماع استقبال زميل جديد لنا، هو السيد مالك.

جمال (ببرود): حللت أهلاً ووطئت سهلاً.

سلام : ألم يخبرك الأستاذ عمران بأن ثمة رسامًا سيتولى تنفيذ جميع الرسوم التي تحتاجها صفحة الرأي ؟.

جمال (يفرك رأسه بيده): بلى، ألمح لي بذلك، حدسي يقول إن السيد مالك هو الرسام، أليس كذلك ؟.

سلام : حدسك بمكانه، الزميل مالك سيرتب معك كل الرسوم المتعلقة بصفحة الرأي.

جمال: هل بالإمكان الإطلاع على بعض رسوماتك ؟.

مالك (يخرج من حقيبته رسمًا يعطيه لجمال) : بكل تأكيد، تفضل.

جمال (مقطبًا حاجبيه) جميلٌ، لكنه ناقد بعض الشيء، وقد لا يقبله القارئ.

مالك : بل هو من النوع العادي جدًا، القارئ هذه الأيام تستهويه الرسوم الناقدة أكثر من الخبر الجاف، واعلم أن القارئ يبحث عن كل ما هو جديد.

جمال (متجهمًا): لا شك في ذلك، لكن ماذا لو تناولت في رسوماتك أحد شخوص السياسة ؟ ليس هنا، بل في كل مكان، ما العواقب التي ستلحق بنا جراء ذلك ؟.

مالك : أحيانًا عندما يُقدم أحدنا على فعل أمرٍ ما، يضع في ذهنه خطوط حمراء لا يمكنه تخطيها، في الواقع لا أحد يفرض عليه هذه الخطوط، فما هي إلا خطوط وهمية، وبالتالي يضع أمامه حاجز، هو الذي صنعه ولا يستطيع كسره، إلا إذا قام أحد غيره بكسره، عندها لا يبقى في ذهنه أي خطوط، سواء كانت حمراء أو صفراء.

سلام (تشير بيدها نحو مالك): ما يقوله مالك صحيح كل الصحة، وسبقني فيما أردت قوله، لا بأس طالما أنكَ عبرت عنه بطريقة العارف المتفهم.

جمال (عابسًا): حينما نناقش الأمور بكل روية، سيتفهم الأستاذ مالك السياسة التحريرية والخط العام الذي تسير عليه جريدتنا المحافظة، وسيجد نفسه مدافعًا عن الجريدة أكثر من دفاعه عن رسوماته.

مالك : (مستغربًا) : الخط العام هو ما أريد معرفته؟.

سلام : الشرح والدرس لا يكفيان لمعرفته المعرفة الكافية، ما عليك إلا قراءة افتتاحية الأستاذ عمران، فهي البوصلة التي تحدد مسار الجريدة.

مالك (محدقًا بعيني سلام): حسنًا سأفعل ما طلبته مني.

سلام (تخرج مقالاً من حقيبتها تعطيه لجمال) : هذا آخر مقال خطه قلمي.

جمال (ببلادة شديدة): وحول ماذا يدور ؟.

سلام : تطرقت فيه إلى الصراع الناشب في الشرق الأوسط، وتحديدًا الصراع العربي الإسرائيلي.

جمال (يأخذ المقال بتثاقل): المقالات التي بحوزتي كثيرة جدًا، بعضها ينتظر دوره للنشر منذ أسبوع، اعذريني سأقرأ مقالك غدًا.

سلام (تهم بالخروج) أنت صاحب الشأن أولاً وأخيرًا، من جهتي المقال يحتمل الانتظار لثلاثة أيام فقط.

جمال(يشير بقلادة معدنية نحو مالك): من اللحظة تستطيع مباشرة عملك، نفذ الكاريكاتير الذي سينشر في عدد الغد شرط أن يتماشى مع أحداث اليوم أو الأسبوع الفائت على أبعد تقدير، وبمقدورك متابعة آخر الأخبار من غرفة الأخبار، المهم أن تنجز عملك باكرًا.

مالك (يهم بالخروج): سأعرج على غرفة الأخبار لأتابع أبرز الأحداث وأكثرها سخونة قبل أن أعود إليك.

سلام (تحدق بعيني مالك): بنيتي زيارة الأستاذ تيسير.

مالك (بحماس) : هلا رافقتني إليه؟.

سلام : بكل سرور، هيا بنا.

(يخرجان).

المشهد الرابع

(يدخل مالك وسلام إلى غرفة الأخبار)

سلام : أسعد الله مساءك.

تيسير : ومساءك، أرى معكِ ضيفًا، ما القصة ؟.

سلام : بل هو زميلنا الجديد، الفنان مالك، سيتولى إحاطة ما تحتاجه الجريدة من كاريكاتير.

تيسير : اجلسا.

سلام (تجلس) : زميلنا تيسير من أقدم المحررين في جريدتنا، تستطيع الاعتماد عليه في كل ما تحتاجه من معلومات، لن يبخل عليك لأنه مصري، وليس من عادة إخواننا المصريين البخل.

تيسير (يشير بيده نحو مالك): إن شاء الله لن تحتاج إلى أي شيء وسلام إلى جانبك.

سلام : أراك بدأت ترسل إشارات غامضة، ماذا تقصد ؟.

تيسير (مبتسمًا): كما وصفتني بالكريم، فإني أردُ لكِ الجميل بأنك أيضًا كريمة.

مالك : لا خلاف حول ذلـك، إذا كـان الأمـر يتعلـق بـالكرم فكلنـا كرماء؛ كلّ بحسب قدره، وقد نكون بخلاء من حيث لا ندري.

سلام : فعلاً، يظن بعضنا أن سخاءه لا حدود لـه فيمـا البخـل يلفـه لفًا.

تيسير : كثير من الناس لا يشتمل كرمهم إلا على ما تشتهيه نفوسهم بالمقابل نجد أناس آخـرين كـرمهم موجـه للآخـر قبـل أن يتجـه إلى أنفسهم.

مالك (يشير بيده نحو تيسير): الفئـة الأولى الـتي أشـرت إليهـا، ممـن يصح القول فيهم، إذا أكرمـت اللئـيم تمـردا، اللئـيم هـو النرجسـي والأناني الذي يحب نفسه ويمقت غيرها، أما امتلاك الكـريم ينطبـق على الفئة الثانية قلبًا وقالبًا، ممن يحبون غيرهم كما يحبون ذاتهم.

سلام : في المـرات القادمـة سـأكتب مقـالاً حـول الكـرم والبخـل في مرحلتي الطفولة والشيخوخة.

تيسير : ولماذا في مرحلة الطفولة والشـيخوخة ؟ ألا يمكنـك البحـث في مرحلة الشباب ؟.

سلام : في مرحلة الطفولة تكون الشخصية آخذة في التكون والميـول والدوافع تتحركان بشكل سريع، وعلى ضوئهما يمكن تحديد مـا إذا كان هذا الشـخص سـيغدو كريمًـا أو بخـيلاً، كـذلك الحـال في سـن الشيخوخة، تتغير الكثير من الصفات بعد أن يكـون الشـخص مـرّ

بتجارب كثيرة، فيحاول إذا كان بخيلاً أن يكون كريمًا ليترك وراءه أثرًا طيبًا قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

مالك (مقطبًا حاجبيه): برأيي لا علاقة للشخصية في تحديد ما إذا كان فلان من الناس سيكون كريمًا أو بخيلاً، باعتقادي الأخلاق هي التي تقرر ذلك، المعلوم أن الأخلاق لا وجود لها في مرحلة الطفولة لأنها تحتاج إلى نضج عقلي لا يتوفر إلا في سن الرشد.

سلام : أحترم رأيك وأقدره، صحيح أني تجنبت الإشارة إلى دور الأخلاق، كوني لم أتوصل حتى الآن لمعرفة ما إذا كانت الأخلاق ثابتة أو متغيرة، استبعدتها لأنها متأرجحة ولا يمكن البناء والقياس عليها، رغم معرفتي بأن الكرم والعدالة والخير من الفضائل التي تنضح بها الأخلاق.

مالك : عندما تكتبين مقالك سأكون أول من يقرأه أيًا كان رأيك.

تيسير (ينظر إلى شاشة الأخبار) : يا إلهي ما هذا الخبر المفجع ؟.

مالك (يقف مشدوهًا): ماذا في الخبر ؟.

تيسير (بحزن وألم): وردني خبر من العراق يفيد بمقتل خمسة وخمسين شخصًا وجرح مئة آخرين بانفجار سيارة مفخخة وسط شارع المتنبي في بغداد.

سلام (بأسى شديد): حقًا إنه لخبر مفجع لا يسر الصديق ولا العدو.

مالك (يمشي خطوتان ويقف في منتصف المكتب ويشهر قلمه):
العنف لا يعرف صديق أو عدو، هو ككرة النار الملتهبة تحرق كل من يقف في طريقها بذنب أو بغير ذنب، حول العنف السائد سأرسم كاريكاتيرًا يصف ما جرى ويجري من دمار.

تيسير : فكرة جيدة وجديرة بالاهتمام، لكنها ستكون خالية من الهزل الذي اعتدنا على مشاهدته في الكاريكاتير.

مالك (عابسًا): للأسف، يظن البعض أن وظيفة الكاريكاتير في الصحافة الضحك فقط، مثلما هو هزلي، يأخذ طابع الجدية أحيانًا.

سلام (تقف): سأبحث معك هذه المسألة لاحقًا، سأذهب الآن إلى مكتبي لمتابعة ماجدًّ من تقارير.(تخرج)

المشهد الخامس

(يدخل مالك إلى مكتب جمال)

مالك : طاب مساؤك.

جمال (عابسًا): كدت اتصل بك لو تأخرت قليلاً.

مالك : الحمد لله أني حضرت في الموعد المناسب.

جمال : البطء في الصحافة لا يرحم.

مالك : هذا يعني أنها كالسيف.

جمال : لا فرق بين الوقت والصحافة، كلاهما لا يرحم التأخير.

مالك (يعطيه الكاريكاتير) : الكاريكاتير أصبح جاهزًا.

جمال: وحول ماذا يدور موضوعه؟.

مالك: حول العنف الطاحن في العراق.

جمال (يحدق به): جميل ومعبر، لكن وصفك للعنف مبالغ فيه.

مالك (ساخطًا بهدوء): أبدًا لم أتقصد المبالغة، كل ما في الأمر أني نقلت ما يجري على الأرض من تفجير وتدمير لا يفرّق في عنفه، ضمن قالب فني، كما تنقل الأخبار من ميدانها.

جمال (يومئ برأسه): أوافقك على ما تقول، إلا أني أجد مبالغة في رسمك لشاب يلف نفسه بحزام ناسف ويتهيأ لتفجيرها وسط حشود

تصورها على أنها ميتة، أليس في الأمر تناقض؟.

(يدخل عمران)

عمران (يشعل سيجارًا): عذرًا على المقاطعة، هل من عوائق لعدد الغد ؟.

جمال (يعطيه الكاريكاتير): بالنسبة لي لا توجد أي عوائق تذكر، لا أعرف فيما إذا كنت توافق على كاريكاتير مالك، ما رأيك؟.

عمران (يرتدي نضارته ويحدق): مرعب جدًا جدًا.

مالك (بحدة): ولماذا هو مرعب؟.

عمران (ينفث دخانًا بوجه مالك): لأنه لا يصور سوى الموت ويذّكر به على الدوام، من جهتي لا أحب الموت وأحاديثه.

مالك (مبتسمًا): الموت حق علينا، كل نفس ذائقة الموت، والكل سيشرب من كأسه المر.

عمران (بانفعال): كلامك لا يبعث على الطمأنينة، قلت لك لا أحب الموت، كم مرة سأعيد وأكرر.

مالك : هذا رأيك في الموت، قد لا يحب المريض الدواء، لكن هل يستطيع أن يشفى من دائه بدون الدواء ؟.

عمران : (بحدة) أيضًا هذا رأيك، على كل حال أوافق على الكاريكاتير شرط ألا تجسد الموت ثانية، ما هو رأيك يا جمال ؟

بالله عليك ألستُ محقًا ؟.

جمال (يمشي في أرجاء المكتب وعينه على مالك): لا مشكلة لدي مع الموت الذي تكره، غير أن المشكلة في تصوير الشاب الذي يريد تفجير نفسه وسط حشود ميتة، أتساءل ما فائدة التفجير إذا كان الهدف ميتًا وليس حيًا، المبالغة هنا في تصوير الشاب الانتحاري وهو ملغم بالأحزمة الناسفة، كأننا نقدم الدليل لمن يبحث عنه ليدينا نحن العرب والمسلمين بالعنف والإرهاب.

عمران (يضع يده على جبينه): كيف فاتني هذا ؟ أعترف بأنك صاحب نظرة ثاقبة.

مالك (متأففًا): أؤكد لكم أني لا أبالغ أبدًا، التناقض الذي استفسرت عنه غير موجود في الكاريكاتير، والجموع الحاشدة ليست جماهير ميتة، بقدر ما هي حية، غيبها اليأس وانعدام أسس الحياة الإنسانية المفروض أن يحياها الإنسان العربي كأي إنسان آخر، ونتيجة هذا الانعدام، هي الآن في حالة غيبوبة تامة، لا تعرف متى ستستفيق منها، وبالتالي لا ينفع العنف معها أو لا يؤثر فيها، وهذه إشارة واضحة على أن العنف لا يؤثر إلا بصاحبه، أي الانتحاري، عسى أن يفهم مغزى الرسالة ويرتدع من تلقاء نفسه عن فعلته هذه، التي لا ترتد في النهاية إلا عليه، أما المبررات التي يبحث عنها الغرب ليثبت أننا إرهابيون بحق، هذا الرسم رسالة فاقعة للغرب

ليقتنع أن الإرهاب الذي يتهمنا بتصديره، موجود عندنا، قبل أن يصل إليه، ربما وجد لدينا بسبب الفوضى التي عمت جراء وجوده في أراضينا.

عمران (متراجعًا في كلامه): لا بأس، طالما الكاريكاتير لا يتناول أحد مسؤولينا، فليكن ما يكون، بالنسبة للعنف الحاصل في العراق، على شعبها جنت براقش.

مالك (يتنهد) الآن فهمت سياسة الجريدة من دون عناء.

جمال (عابسًا): جميل أنك فهمتها بهذه السرعة القصوى، لكنت أتعبتنا كثيرًا.

مالك : اطمئن سوف لن أتعبكم بعد اليوم.

عمران (يهم بالخروج): أنا في مكتبي لمدة ساعة فقط، بعدها سأذهب إلى سهرة العمر مع ألمع نجمات لبنان، ماذا أفعل ؟ لا يمكنني تفويتها، أرجو أن لا تتصلوا بي أثناء السهرة لئلا تعكروا مزاجي الرائق.

جمال (ساخرًا): سهراتك لا نهاية لها، تمنيت لو دعوتني لحضور واحدة منها وعلى حسابك الخاص.

عمران (عابسًا): إلى اللقاء (يخرج).

جمال (يرمق مالك بحدة): بإمكانك المغادرة في أي وقت تشاء.

مالك (يومئ برأسه): سأغادر لاحقًا، سأذهب لغرفة الأخبار، وداعًا. (يخرج).

المشهد السادس

(تدخل هلا إلى مكتب سلام)

هلا : مساء الخير.

سلام : مساء النور، أهلاً هلا تفضلي.

هلا (تجلس): كيف هي أحوال العمل؟.

سلام : تسأليني عن أحوال العمل الأكثر إجهادًا بين كل الأعمال الأخرى، ولا تسألي عن أحوالي ؟.

هلا: عذرًا، أعرف مسبقًا أن أحوالك بألف خير ولا ينقصك شيئًا.

سلام (عابسة): من أين لك معرفة أحوالي وأنت لا تزوريني إلا بالمناسبات السعيدة، أو عندما يكون لك غرض ما، أتمنى أن تزوريني باكرًا إذ لا تأتي زياراتك لي إلا في أوقات متأخرة أثناء انتهاء العمل

هلا : أعدك في المرات القادمة بأني سأزورك في البيت بدلاً من الجريدة.

سلام : أهلاً بك أختًا عزيزة في أي وقت تحلين، سواء في الجريدة أو البيت.

هلا (تشير بيدها): ماذا تكتبين ؟ ما هذه الأوراق التي أمامك ؟.

سلام : أعد دراسة موسعة عن حالات العنوسة والعزوف عن الزواج، يفترض أن تنتهي غدًا، لتنشر بعد غد.

هلا : وهل دراستك تتناول ظاهرة العنوسة بشكل عام، أم أنك حصرتها في مجتمعنا الخليجي ؟.

سلام: تناولها بشكل عام لا تتسع له صفحات جريدتنا، لذلك حصرتها في مجتمعنا الإماراتي، نظرًا لشدة انتشارها وقلة الحلول المقترحة بشأنها.

هلا: ولماذا تعتقدين أن الحلول قليلة جدًا ؟.

سلام : بديهي أن الحلول قليلة، لقلة المعالجة والتشخيص الدقيق، لو سألتني عمن تترتب المسؤولية، سأجيبك، على أصحاب الاختصاص في المجال الأكاديمي، ودور الأهل التوعوي.

هلا (بدهاء وخبث): لو أنك متزوجة لما قلت ذلك إطلاقًا، أو لما تطرقتِ لهكذا موضوع، كونه لا يعنيك،لكن لأنك أصبحت ضمن قاطرة العوانس أثرت حوله الزوابع.

سلام (تقف منفعلة): هل تعي ما تقولين ؟ أنا أكتب هذا الموضوع من موقعي كصحافية تلتزم أصول مهنتها، ولا يهم سواء كنتُ متزوجة أو غير متزوجة، وكأنك تتهميني بالازدواجية.

هلا : هدئي من روعك، أقسم أني لم أقصد استفزازك، ما قصدته؛ إلى متى ستظلين ترفضين المتقدمين للزواج منك ؟.

سلام (ساخطة بهدوء): لا أريد القول إن هذا الأمر يعنيني وحدي، ولأنك أختًا عزيزة على قلبي، سأبقى أكرر وأقول، موضوع الزواج قسمة ونصيب، بقدر ما هو بإرادتنا، أيضًا هو خارجها، إرادتي حتى الآن لم تجد وجهها الآخر، وحين تجدها سأسعى لها مهما كان الثمن غاليًا.

هلا (تمسك بذراع سلام): أرجو أن تسامحيني على ما قلت، فوالله كم هي فرحتي غامرة عندما أجدك متزوجة، أو مخطوبة مثلي.

سلام : وفرحتي بكِ أكبر عندما أراكِ متزوجة قبلي. دعينا من الزواج والخطوبة، بالنسبة لي الحب أقدس منهما وأعلى شأنًا، لكنه وللأسف الشديد مفقود لدينا وغير موجود من شدة الترف والبزنس. لقد انتهى عملي، هل تذهبين معي إلى التسوق ؟.

هلا : منذ شهر لم أتسوق، بكل تأكيد سأذهب.

(تخرجان من المكتب فتصادفان مالك في ممر الجريدة)

مالك (مبتسمًا): ما سر تكرار هذه الصدف السعيدة ؟.

سلام (مبتسمة): من جهتي لا أملك تفسيرًا لها، صديقة عمري الآنسة هلا مدرسة لغة عربية.

مالك : تشرفت بمعرفتك.

سلام : الأستاذ مالك أحد أبرع رسامي الكاريكاتير.

مالك (مبتسمًا بخجل): أبهذه السرعة جعلتني رسامًا بارعًا؟.

سلام : تستحق أكثر من ذلك، مَن لا يعرفك يجهلك، ومَن يعرفك سيعجب بك لا محالة.

هلا (تومئ برأسها بخبث): ومن أي ناحية سيعجب أكثر ؟.

سلام (بثبات وثقة): من جميع النواحي دون استثناء، مَن يسمع كلامه قد يظنه فيلسوفًا مبدأه في الحياة الحكمة وإسداء النصيحة، ومَن يشاهد رسوماته يعجز لسانه عن الكلام.

هلا : بحسب معرفتي لفن الكاريكاتير، أظن أن الأستاذ مالك متأثر بالمدرسة الشرقية الأوروبية.

مالك : بل أنتمي إليها، لعل الإصغاء لحكم الفيلسوف ومشاهدة رسوم الفنان، لا يكتمل وقعها على النفس الإنسانية بدون القراءة.

هلا (تلوح بيدها بين مالك وسلام): أفهم من ذلك أنه لابد من التقريب بين الفيلسوف من جهة، مع من يمارس فعل الكتابة من جهة أخرى.

مالك : قد يظهر عائق يحول دون التقريب بين الفعلين.

هلا : بالإرادة الصلبة تزول جميع العوائق أيًا كان واضعوها، أليس كذلك يا سلام ؟.

سلام (بارتباك) : آه، ماذا ؟.

هلا : ما هذا الشرود ؟ بماذا تفكرين ؟.

سلام : لست شاردة، من يشرد لا يفكر، إنما يسرح في خياله.

مالك (مقاطعًا): ألا ترغبين باستكمال حديثنا السابق عن الجد والهزل في الكاريكاتير؟.

سلام (متنهدة): آه، جيد إنك ذكرتني، سنكمله في وقت لاحق.

مالك (بحماس): أين ؟ وفي أي وقت ؟.

هلا (بخبث): أرى الأستاذ مالك متحمس جدًا للقاء، ألا يمكنني المشاركة في الحديث ؟.

سلام (مرتبكة): لا تتدخلي فيما لا يعنيك، لا بأس، لأجل مالك يمكنك مشاركتنا غدًا، في تمام الساعة السادسة مساء في كافتيريا النسيم القريبة من الخور.

هلا : شكرًا على ثقتكما الكبيرة، لو استطعت الحضور لما ترددت لحظة.

مالك (مبتسمًا): إذًا، بعد نهاية دوام الغد سأنتظرك في الكافتيريا.

سلام : إن شاء الله.

مالك : وداعًا.

(تذهبان في اتجاه ويذهب مالك في اتجاه آخر)

▪ الفصل الثاني

المشهد الأول

(في الغرفة)

(يجلس إسماعيل على سريره ينفث بالنرجيلة ،
ويجلس بجانبه زياد يمضغ القات ،
كما يجلس إلياس وهاني على سريرهما يحتسيان الشاي)

إسماعيل : ما بك يا هاني ؟ منذ يومين وأنت شديد الاضطراب.

هاني (مطرقًا برأسه على الأرض): أسباب كثيرة تبدأ ولا تنتهي، وكأن المصائب التي ظننت أني تركتها في بغداد بدأت تلاحقني إلى هنا.

زياد (آسفًا بحزن): كان الله بعون العراق، لم يعرف هذا البلد غير المصائب والأحزان من وقت لآخر.

إلياس: المصائب في كل مكان، أي سبب يقلقك ؟.

هاني (يمشي في الغرفة بقلق شديد): لا أعرف من أي سبب سأبدأ، فرحت البارحة كثيرًا عندما أبلغني المدير التنفيذي لشركة المقاولات والبناء التي أعمل بها، بأن الشركة وافقت وبعد عام ونصف العام

من عملي بها على منحي إقامة على نفقتها، بما يسمح لـي بإحضـار زوجتي وابنتي فرح.

إسماعيل : جيد جدًا، أين المشكلة في ذلك ؟.

هاني (يشهر يده بأسـف): المشـكلة أن الشـركة أخطـرتني اليـوم أن إدارة الهجرة والجنسية جمـدت قـرار مـنح العـراقيين إقامـات بـداعي الحفاظ على التوازن بين نسب الوافدين الأجانب.

زياد (يقف غاضبًا): العنف والدمار في العـراق لا يفـرق بـين كـبير وصغير، إلى أين سيذهب العراقيون إذا لم نقف معهـم نحـن العـرب أبناء جلدتهم ؟.

هاني (بحزن عميق): ولأجل العنف طلبت من زوجتي ترك العـراق والإسراع بالسفر إلى مصر حفاظًا على حياتها مع وحيدتي فرح.

إلياس : وهل وصلت إلى مصر؟.

هاني (مضطربًا): يفترض أن تصل قبل ثلاث ساعات من الآن، منذ خروجها من البيت إلى مطار بغداد، والاتصال بها مفقود، أخشـى أن يكون قد نال العنف منها ما نال من الآلاف.

إسماعيل (يربت على كتف هاني): اصبر قليلاً، إن الله مع الصابرين.

هاني (عابسًا) : لقد يئست من هذه الحال.

إلياس: عليك مغالبة إلياس، كيف تيأس واسم ابنتك فرح ؟.

هاني (يقف): ألم أقل لكم، إني نسيت الفـرح، إذا فتشـت عنـه لـن أجده، لكن لا يمكن أن أنسى حبيبتي فرح.

إسماعيل (يعانق هاني): هذا هو الكلام الـذي يبعـث علـى الأمـل، تفاءل بالخير ولا تدع لليأس مكانًا في قلبك.

هاني (يهم بالخروج): اسمحوا لي، سأذهب إلى السنترال لأتصل مـرة أخرى ببغداد، لقد نفد صبري.

الجميع : وفقك الله.

(يخرج هاني)

إلياس (متضرعًا إلى السماء) كان الله بعونه ما أصـعب العمـل هنـا بدون إقامة.

زياد : بل ما أصعب الفواجع الـتي تـتردد علـى مسـامعنا يوميـا مـن العراق.

إسماعيل (متحسـرًا) : وا أسـفاه مصـائب العـراق العظيمـة، أنسـت العرب مصابهم الجلل في فلسطين.

إلياس: فلسطين في صفحات التاريخ، وليست في القلوب والعقـول، لقد أصبحت في طي النسيان.

زياد : الجيل الذي عاش مصاب فلسطين، هرمت به الذاكرة ولم يعـد يتذكر سوى تلك اللحظات البسيطة التي كان يحياهـا قبـل المصـاب،

أما بعدها فيحاول عدم تذكرها لما تحمله من آلام، فكيف تريد من العرب تذكر مصاب أشقاءهم في العراق وفلسطين، ومصائبهم تكفي لوحدها.

إسماعيل (يقف قبالة زياد): الجيل الذي تحدثت عنه، جيل آباءنا وأجدادنا، الذين انتقلت أرواحهم إلى الرفيق الأعلى ودفنت أجسادهم بالأرض التي ولدوا وأكلوا ولعبوا وعملوا فيها، أما جيل اليوم، لا علاقة له بما يجري.

إلياس : جيل اليوم، هو سبب الانقسام الحاصل على الأرض بين الفلسطينيين أنفسهم.

إسماعيل (يجلس على سريره): نعم هو سببه، وإذا بحثت أكثر ستجد أن الانقسام سيبقى ويتعمق مع اتساع شهوة الوصول إلى سلطة لم تنضج بعد.

(يدخل مالك مرهقًا)

مالك : أسعد الله مساءكم.

الجميع : ومساءك

إلياس: أخبرنا يا مالك، كيف وجدت العمل في الصحافة الخليجية؟.

مالك (يجلس على سريره) : مَن أنا حتى أقيم الصحافة الخليجية ؟ كل ما أعرفه أن الصحافة العربية لا زالت تعيش على قوانين العهد العثماني وأنت أدرى بواقعها.

إسماعيل (ينفث بالنرجيلة ساخرًا): أجدها تقليدية أكثر منها إبداعية.

إلياس (يقف محتدًا): ليست تقليدية، ولا تعيش في العهد العثماني، هي ابنة عصرها ولحظتها.

مالك (آسفًا بحزن): ابنة عصرها عند الغرب، وليست عندنا، عندنا هي الابنة المطيعة لسيدها ومالكها، وغالبًا ما يكون المالك الدولة وحدها.

زياد (يجلس): لتعرفوا واقعها جيدًا، أدعوكم للبحث عن مكانها في النظام السياسي العربي.

إسماعيل : ماذا تقصد بمكانها ؟.

مالك : أنا سأجيب إسماعيل عن مكانها، المكان الذي قصده زياد في سؤاله، أين أصبح موقعها في خريطة النظم الديمقراطية، بما هي سلطة رابعة ؟ للأسف الشديد لا أظن أن لها مكانًا في ظل أنظمتنا المجهولة الموقع.

إلياس (يشهر يده ساخطًا): خير ما قاله توماس جيفرسون في هذا الصدد.. صحافة من دون حكومة أفضل من حكومة من دون صحافة، ولكم الحكم.

إسماعيل : إذا كنت مدركًا لواقعها الرديء، فلماذا تعمل بها ؟.

إلياس (يمشي ثلاث خطوات يضرب يده بعنف على جدار الغرفة): أولاً وقبل أن أجيب على سؤالك، ليسأل كل واحد منا نفسه، ما السبب في مجيئه إلى هنا ؟.

مالك : لكل واحد منا أسبابه الخاصة التي دفعته للقدوم إلى هنا، وإذا جمعنا الأسباب جميعا سنجد أن ثمة سببًا واحدًا ومشتركًا وراء وجودنا.

زياد (آسفًا بحزن): عندما تنتهي أسبابكم المالية، ستعودون من حيث أتيتم وتدعونني لوحدي استقبل غيركم.

مالك (يتحرك باتجاه زياد رابتًا على كتفه): الحياة تنتهي ولا تنتهي معها الأسباب المالية، حتى أنت لك أسبابك المالية وستعود أدراجك لحظة انتهائها.

إلياس : لا اعتقد أن أحدنا سيصل إلى درجة تنتهي عندها أسبابه المالية، ربما لأنها مرتبطة بلغة الأرقام غير المنتهية، لا شك أن جميعنا سيغادر، فعندما تخف هذه الأسباب الثقيلة الملقاة على عاتق كل واحد فينا، سيتبين حينها من سيغادر أولاً.

(يدخل هاني وصابر)

هاني (مبتسمًا) : الحمد لله، وصلت عائلتي بسلام.

إسماعيل : أجدك شديد الفرح، ما الجديد ؟.

هاني (بفرح شديد): اتصلت ببغداد فلم يجيب أحد على الاتصال،

فقدت الأمل وهممت بالعودة إليكم يائسًا، وفي العودة صادفت الأخ صابر ترافقنا سوية، فجأة قرع جرس هاتفي الشخصي، أجبت على المكالمة، فإذا بها زوجتي تخبرني أنها توًا وصلت الإسكندرية.

إلياس (يعانق هاني): حمدًا على سلامتها وسلامتك، فوالله لم أجدك سعيدًا كسعادتك الآن.

هاني : أشكركم جميعًا، وخصوصًا صابر الذي كانت صدفتي به خيرًا.

مالك (ساخرًا): هذا يعني أن القط الأسود الذي لا يجلب الحظ، فجأة ومن دون سابق إنذار انقلب إلى قط أبيض، يجلب الحظ والخير لمن يصادفه في طريقه.

صابر (بانفعال) لكن مخالبه حادة سواء كان لونه أبيض أو أسود، وتؤذي من يستخف بقوتها.

هاني (يجلس على سريره): لقد أغضبت صابر، أرجو أن تقوم بفعل ما يخفف غضبه.

مالك : بل رفعت من شأنه، لا أحد يعرف صابر مثلي.

صابر (يشهر سبابته في وجه مالك): مزاحك الثقيل سأمرره اليوم، شرط أن أبقى أمثل دور القط الأبيض، على أن تمثل أنت دور القط الأسود.

مالك (ضاحكًا): تعرف أني لا أهوى التمثيل، ولا أحب القطط، لك حرية الاختيار بين القطين.

زياد (ضاحكًا بشدة): وهذا أكبر تنازل يقدمه لك مالك، مـاذا تريـد أكثر ؟ فأنت الآن أصبحت تمثل الحظ وعكسه.

صابر (حانقًا): اللعنة على هذا القط وذاك.

مالك (بدهاء): حرام عليك يا صابر، لا يجـوز أن تلعـن القـط وهـو الذي جلب لك الحظ الطيب، ولولاه لما كنت هنـا، هـل تسـتطيع أن تنكر ذلك ؟.

صابر(يتحرك باتجاه إسماعيـل) : لا أؤمـن بـالحظ ولا بالشـيء الـذي يجلبه، سواء كان قطًا أو فأرًا، لكن ما عساي فعله إذا كـان الحـظ هـو من يأتي إلي مهرولاً، هل من الحكمة رفضه؟.

إسماعيل : احذر، من يرفض الحظ الآتي إليه، كمن يجحد بالنعمة.

إلياس (يجلس): كيف يعرف الإنسان أن الحـظ قـادم إليـه ؟ إن كـان يعرف، فهذا يعني أن الحظ شيء ملموس وليس مجردًا.

مالك : لو سألت كل واحد منكم كيف أتى لهنا لاستفاض في شرحه إلى بعد غد، لكن لو سألنا صابر، لأجاب باقتضاب أنه أتى وعينه في اتجاه العمل بأي مجال، فإذا به يعمل في اختصـاص معقـد، لا يُسـمح بالعمل فيه لمن ليس لديه خبرة لا تقل عن عشر سنوات، وخبرته في مجال التصميم والتحرير الإعلاني لا تتعدى سنوات دراسته الجامعية الخالية من أي خبرة.

صابر (باستعلاء) : إنه توفيق من الله.

مالك : ونعم المولى.

هاني (يشير بيده لصابر) : إذا كنت محظوظًا في دنياك، فلماذا لا تسافر معي في رحلتي الطويلة؟.

صابر(بأسى) : إلى أين سأسافر؟ ألا يكفي ما أنا فيه من غربة وشقاء؟.

هاني : لطالما كانت صدفتي بك خيرًا، فأنا أدعوك للسفر معي إلى مصر، كي لا تطرق التعاسة بابي ثانية.

إسماعيل (باستغراب شديد) : أحقًا ما تقوله يا هاني، أم أنك تمزح؟.

هاني (يومئ برأسه): نعم سأسافر إلى مصر قريبًا بعد أن أطمئن بالي على حال زوجتي.

زياد (يضرب الطاولة بيده): يا للخسارة، ستتركنا وتذهب.

هاني : وأيضًا سأترك العمل في الشركة.

إلياس : وماذا ستفعل بمصر ؟ أغلب أهلها يأتون إلى هنا بحثًا عن عمل.

هاني : أعلم أني لن أجد عملاً فيها، فإن وجدته لن يكفي إيجار المنزل الذي سأنزل به، إقامتي في مصر مجرد محطة، وسأحاول بعدها الانتقال إلى أوروبا عن طريق بعض الأقارب.

صابر(يهم بالخروج): لا أصدق بأننا سنخسرك بهذه السرعة.

هاني (شاردًا بحزن): هذه سنة الحياة، وما نحن إلا ضيوفًا عليها.

مالك (بحدة): لم تعد ديار العرب تتسع لأبنائها، لقد ضاقت بهم ذرعًا، فصاروا يستجدون الغرب لإيوائهم في هذا الزمن العربي الرديء، النوم هذه الأيام لا أحد يغلبنا فيه، تصبحون على خير.

(ينام).

المشهد الثاني

(مكتب عمران في الجريدة)

(يجلس جمال وعمران)

عمران : علينا إجراء تقويم شامل للجريدة لمعرفة جوانب الضعف والخلل اللذين بسببهما انخفضت نسبة التوزيع.

جمال : الوقت لا يزال مبكرًا لإجراء هكذا تقويم فنحن لا زلنا في النصف الأول من العام، وليس في العادة إجراء أي تقويم قبل نهاية العام.

عمران : في ظل منافسة الصحف الأخرى علينا إجراء تقويم شامل باستمرار.

جمال : بالنسبة للصفحة التي أتولى تحريرها أمورها تسير على ما يرام، ولا توجد أي مشكلة.

عمران (يضع يده على جبينه): لا أقصد صفحتك بقدر ما أقصد جميع الصفحات، إذا كان لا يوجد أدنى تقصير، فلماذا لم يعد يرغبها القراء ؟.

جمال : في كل يوم نسمع بصدور جريدة جديدة هنا وهناك، إضافة إلى أن القراء أنفسهم، لم يعد يجدوا وقتًا للقراءة، فأزمة ضعف القراءة، نعاني منها في الخليج عمومًا وفي الإمارات بشكل خاص.

(يدخل تيسير عابسًا)

تيسير (يعطي خبرًا لعمران): وصلني خبر مزعج من الوكالة الوطنية للأنباء، يتحدث عن وقوع حادث سير بين الشارقة ودبي.

عمران (يحدق في الخبر): شكرًا للمتابعة.

جمال : ماذا في التفاصيل، هل من أضرار بالغة ؟.

(تدخل سلام)

سلام : صباح الخير.

عمران (يتحدث بتثاقل): أي خير، وأمامي خبر يقول إن زميلنا الجديد مالك هو أحد المصابين في حادث السير.

سلام (باضطراب) : ما القصة ؟ ماذا حدث ؟ كيف جرى ذلك ؟ أين هو الآن؟ أرجو أن تتصل بالطوارئ لنعرف إلى أي مشفى تم نقله ؟.

جمال : حسبي الله ونعم الوكيل، هدئي من روعك، سنعرف كل ما حدث بعد قليل.

سلام (بانفعال) : كيف سنعرف ونحن نرمق بعضنا بعضًا وأيدينا مكتوفة ؟.

عمران (يتصل) : ألـو.. الطـوارئ معـك جريـدة البقـاء، هـل لكـم إعلامنا إلى أي مشفى تم إسـعاف المصـابين الـذين تعرضـوا لحـادث السير ؟.

عمران (يقطع الاتصال) : أبلغوني أن المصابين تم نقلهم إلى مشـفى الشفاء.

جمال : إذًا، فلنتصل بالمشفى.

سلام (بحدة): الواجب يقتضي أن نذهب إلى المشفى بدل الاتصال.

عمران (متجهمًا): أنا لا أستطيع الذهاب إلى المشـفى، لـيس في هـذا الوقت، بل في جميع الأوقات، عنـدما أدخـل إلى المستشـفيات يصـيبني إعياء شديد، لا أعرف سببه، لذا، أرجو المعذرة.

جمال : وأنا أفضل أن أذهب في وقت لاحـق، ربـما أذهـب مسـاءً بعـد الانتهاء من العمل.

تيسير : سأذهب مع الآنسة سلام، إذا وافق الأستاذ عمران.

عمران : طبعًا لن أوافق، كيف أدعك تـذهب وأنـت المسـؤول عـن الأخبار وعن كل شاردة ترد إلينا، لـولا متابعتـك الدقيقـة لمـا عرفنـا بالحادث.

سلام (تمشي ثلاث خطوات باتجاه الباب وتستدير نحوهم): أحقًـا أن الصحافة تعمي قلـوب مَن يعمل بها، أم أن القلوب في بلدي معمية

تجاه غيرها؟ يبدو أنني سأذهب لوحدي.

عمران (ببرود): لا مانع لدي، تستطيعين الذهاب في أي وقت.

سلام (محتدة): هكذا موقف لا يحتاج إلى إذن مسبق من أحد.

(تخرج).

المشهد الثالث

(في المشفى)

(تدخل سلام إلى غرفة العناية فتجد مالك مستلقيًا على سرير وبجانبه الطبيب المسعف)

سلام (باضطراب شديد) : ماذا حدث لمالك ؟.

الطبيب : لا تقلقي، تعرض لحادث سير بسيط.

سلام : وما هي أحواله ؟.

الطبيب : وضعه مستقر الآن، أجرينا له بعض الفحوص، والنتائج كانت جيدة.

سلام : لكني أجده في سكون تام.

الطبيب: أعطيته بعض المهدآت كونه أصيب برضوض خفيفة نتيجة انقلاب السيارة التي كان يستقلها، أحمد الله أنه لا توجد لديه أي كسور أو إصابات خطيرة في الرأس.

سلام (متضرعة إلى الله): حمدًا على سلامته.

الطبيب : المعذرة، مَن تكونين له؟.

سلام (بارتباك) : صديقته... عفوًا زميلته في الجريدة.

الطبيب : تشرفت بمعرفتك، أنا الطبيب سعيد من سورية.

سلام : متى سيصحو من غيبوبته ؟.

الطبيب: هو نائم وليس في غيبوبة وسيصحو في وقت لاحق، حالته لا تستدعي القلق، كل ما يحتاجه هو الراحة.

سلام : وكم ستمتد فترة مكوثه في المشفى؟.

الطبيب : أسئلتك الكثيرة توحي بأنك أكثر من زميلة، غدًا يستطيع الخروج من المشفى، شرط أن يتجنب الإرهاق في العمل.

سلام (مبتسمة): للوهلة الأولى التي رأيته فيها انتابني شعور بأنه في ألف خير.

مالك (يفزع) : يا الهي أين أنا ؟ ماذا حدث لي ؟.

الطبيب : اهدأ يا مالك، لا تقلق، أنت في المشفى.

مالك (باستغراب) : ماذا تفعلين هنا يا سلام ؟ أخبريني لماذا أنا في المشفى ؟ ما الذي جرى ؟ لم أعد أتذكر شيئًا.

سلام (باضطراب شديد): ما القصة ؟ إنه لا يتذكر شيئًا، أخشى أن يكون فقَدَ صوابه.

الطبيب : اطمئني، جميع الفحوصات لا تشير إلى وجود أي خطر على عمل جملته العصبية ، من الطبيعي أن لا يتذكر تفاصيل الحادث ،

ذاكرته ستعود للعمل تدريجيًا، بدليل أنه تذكرك فورًا وناداك باسمك.

مالك (بتثاقل) : أجيبي يا سلام، لماذا أنا في المشفى؟.

سلام (تحدق بعيني مالك بألم): لقد تعرضتَ لحادث بسيط صباح اليوم أثناء قدومك للعمل.

مالك : آه، نعم، كل ما أذكره أني كنت مستقلاً سيارة أجرة، ولا أتذكر بعدها شيئًا.

الطبيب (مبتسمًا): ألم أقل لكِ بأنه بدأ يستعيد عافيته، سأدعك معه، إذا احتاج لأي شيء، أرجو أن تعلميني فورًا. (يخرج)

مالك (متوجعًا): أشعر بالاختناق وكأنني في سجن، أريد الخروج من هنا حالاً.

سلام : سجنك لن يطول، غدًا تستطيع الخروج.

مالك : هذا أول حادث أتعرض له في حياتي.

سلام (تجلس بجانبه): إنه قضاء الله وقدره، يمشي الإنسان على الأرض ولا يدري بالمكتوب.

مالك : وأي قدر كتب لي وأنا أرقد في هذا السجن لا أجرؤ على الحركة ؟.

سلام : صدقني، لست في سجن، أنت بيننا، أنت منا وفينا، سجنك هو سجننا، وحريتك هي حريتنا.

مالك : سجني لوحدي، وحريتي أيضا لوحدي.

سلام : وأيهما تحب ؟.

مالك :إذا كنتم لا تشاركوني حريتي، فهي لوحدي، ومن يعمل لسجني فكأنما يسجن نفسه.

سلام : يبدو أنك تعشق الحرية شرط أن يشاركك الآخرون فيها، أليس كذلك ؟.

مالك : الواضح أنكِ خير من يفهمني، نعم سجنكم هو سجني، لكن أقسم لصاحب الروح التي زرعها في جسدي المتهالك، بأني لم أجدكم أحرارًا.

سلام : كلامك فيه الكثير من اللبس، أرجو أن توضح لي مَن نحن ؟.

مالك : نحن العرب، من حقك أن تشعري ببعض اللبس وأنت ابنة هذا البلد العربي، فرغم غناه، لا يختلف كثيرًا عن باقي البلاد.

سلام : لكل بلدٍ همه الذي يشغل باله عن التفكير بهموم غيره.

مالك : البلد الغني لا يفكر بهمّ البلد الفقير، والبلد القوي يستقوى على جاره الضعيف، السمك الكبير يأكل الصغير، والحيتان تلتهمنا بلدًا تلو الآخر كلما جاعت.

سلام : وما الحل برأيك ؟ أليست العلة فينا حكامًا ومحكومين ؟.

مالك : لا داعي للبحث عن الحل، لأنه موجود، طالما لا توجد مشكلة تستحضره، هي علة صغيرة وليست مشكلة كبيرة، لكنها في حكامنا

بالدرجة الأولى، لو دققتِ أكثر لوجدتِ أننا المحكومون مع الحل، والحل معنا لكنهم لا يقبلون به.

سلام : لكن حكامنا يرفعون في سبيلنا شعارات عريضة، لكثرتها لم تعد تتسع لها جدراننا.

مالك : حكامنا مقلدون وليسوا منتجين، أرادوا تقليد الغرب لكنهم فشلوا، قد يكون بعضهم جادًا، أما الشعارات التي نرفعها ونرددها بلغتنا الواحدة، هي شعارات الغرب التي رددها بلغاته المختلفة وحققها، يمكن لأنها وجدت مكانها الصحيح في عقول حكام الغرب وقلوب محكوميهم.

سلام : إذن، ثمة تناقض عجيب في ذهنية حكامنا، تقول الحل معنا ولا يقبلون به، وبنفس الوقت نجدهم يعقدون القمم والمؤتمرات ويرفعون الشعارات في كل مكان.

مالك : لا أريد أن أكون متطرفًا ومتحاملاً على أحد، رغم قرارات المنع الصادرة بحقي من دخول معظم البلاد العربية، باستثناء بلدك ولبنان، إذا أردتِ الحقيقة، حكامنا مزاجيين؛ شعاراتهم في قلوبنا غصبًا، لكنها ليست في عقولهم، إنما في أدراجهم يخرجونها ويرفعونها متى شاءوا، نحن عكسهم، نتآخى، نحبُ بعضنا بعضًا، نفرح سوية، نحزن سوية، ثمة شيء مجرد غير محسوس لا نبصره لكننا نشعر بحرارته، يشدنا لبعض، يحيرني هذا الشيء، فهل هو الدم يا ترى ؟.

سلام : رابطة الدم والعرق من أقوى الروابط وأمتنها، هي أساس العلاقات الإنسانية وما ينتج عنها من سلوك تبنى عليه علاقتنا الاجتماعية، وكلما كانت هذه الرابطة محصورة في فئة ما، أي قل اختلاطها مع غيرها، حافظت على تسلسلها الوراثي ونقائها من جيل إلى آخر.

مالك (آسفًا بحزن): الرابطة موجودة فينا كأفراد وغير موجودة كجماعات، لقاءاتنا أصبحت لقاءات أفراد، أو لقاء الشخص مع نفسه، ولم تعد بين جماعة أخرى، هناك مَن يحاول ضرب هذه الرابطة بشتى الأدوات المتاحة، ويبدو أنه نجح في مسعاه.

سلام (بقلق شديد): وكأنك تقول بأن هذه الرابطة معرضة للانحلال في أي لحظة، وأنها في مرحلة النزع الأخير، والمحافظة عليها شبه مستحيلة.

مالك : لا أجزم بذلك، لكنك تستطيعين إجراء بعض المراجعات على العلاقة المفروض أن تكون راسخة بين الآباء والأبناء، وبين الأبناء أنفسهم، أين وصلت هذه العلاقة ؟.

سلام : التفكك الأسري صار عادة مألوفة في أغلب مجتمعاتنا، سواء كان مجتمعًا فقيرًا أو غنيًا.

مالك (مقاطعًا): على ذكر الرابطة، كيف علمتِ بالحادث ؟.

سلام (متجهمة): عن طريق الجريدة.

مالك : وهل يعلم باقي الزملاء بالحادث ؟.

سلام (عابسة) : هم أول مَن يعلم، وهم الذين أخبروني.

مالك : أرجو أن يتفهموا ظرفي الطارئ، خصوصًا الأستاذ عمران.

سلام: غيابك لن يؤثر كثيرًا، فأنت مَن يجب أن يتفهم عدم حضورهم إليك وليس العكس.

مالك (آسفًا بغضب): لقد ألغى هذا الحادث اللعين لقاءنا المقرر مساء اليوم من دون أن نحتسب.

سلام (بثقة): تأكد أن لقاءنا، لن يموت، فهو لم يولد حتى يموت.

مالك : وما وجودكِ هنا، إلا إشارة واضحة على ولادته.

سلام (باستحياء) : ربما تكون الظروف القاهرة هي التي أنجبته، أو قد يكون من اللاوعي.

مالك : استبعد الظروف، فلكل منا ظروفه التي تكفيه كما ويستحيل أن يولد من دون وعي.

سلام : لا أدري كيف فهمت قصدي بهذه السرعة، وكأنك ترصد ما بداخلي من إشارات وتقلبات.

مالك : لا أرصد إشارتك، بل أصور ما بداخلك من شعور ووعي تجاهي وتجاه غيري.

سلام : لأنك خير من يفهمني، لن أسألك كيف استطعت تصوير ما بداخلي، لكن سأسألك ما الذي وجدته في صورة شعوري ؟.

مالك : صورتك من الداخل تبدو مضطربة، لأن الآخرين لا يجيدون فهمها، يفهمونها من زاوية صورتك الخارجية كأنثى لها ما لغيرها من بنات جنسها وعليها ما عليهن، لهذا السبب ترفضين أن يُنظر إليك من الخارج كامرأة شديدة الجمال، أو أقل جمالاً، ولأنهم لا ينظرون إليك من الزاوية التي تحبين فإنكِ تنكريهم.

سلام (تقف ممسكة بيد مالك): أصبت يا مالك، فمثلما أنت رسام ماهر، أشهد بأنك مصور بارع، إعجابي بك لا حدود له.

مالك (مبتسمًا): وإعجابي أكبر، وأتمنى أن يكبر أكثر فأكثر.

سلام (تلتفت جانبًا): أنا واثقة بأنه سيكبر، لقد جاء أصدقاؤك، ليحيا اللقاء بيننا، ألقاك بعد غد في ذات الموعد والمكان، وداعًا. (تخرج)

مالك (بألم وتثاقل): وداعًا يا... أملي.

(يدخل هاني وصابر)

هاني (يضع باقة ورد على السرير) : حمدًا على سلامتك.

مالك : وسلامتك.

صابر : قصدنا زيارتك في الجريدة، عندما وصلنا إليها أخبرنا أحد زملائك بالحادث، فلم نصدق.

مالك : وما سبب زيارتكم لي في الجريدة ؟.

هاني (بحزن): وددت وداعك قبل السفر إلى مصر.

مالك (عابسًا): ومتى ستسافر ؟.

هاني : مساء اليوم، إن شاء الله.

مالك : كم تمنيت أن تبقى بيننا، لا بأس مادمت قاصدًا عائلتك.

هاني (شاردًا بحزن): لقد طال غيابي عنهم وزاد اشتياقي لهم، نفد صبري ولم أعد احتمل فراقهم، فماذا أفعل مع عاطفتي ؟.

مالك (يمسك بذراع هاني): حينما يشتد الشوق للأحبة، لا دواء للعاطفة إلا بلقائهم.

هاني (مبتسمًا): أجل، لا بد لقلب المحب أن يرق لأحبابه، مهما حاول نسيانهم عن طريق التلهي بالعمل.

صابر (يربت على كتف هاني): وقلبك بدأ يرقُ مع ازدياد إلياس في الحياة والإحباط في العمل.

مالك : أراهن أن يأسك سينتهي لحظة لقاءك بفرح.

هاني (يومئ برأسه): رهانك صحيح بدون أدنى شك.

(يدخل الطبيب)

الطبيب : كيف تشعر الآن ؟ هل خف الألم ؟.

مالك : نعم، خف قليلاً.

الطبيب : غدًا سيزول كليًا، كل ما تحتاجه الراحة فقط، سأطلب منكما أن تدعاه ينام قليلا. (يخرج)

هاني (يقبل جبين مالك) : تمنياتي لك بدوام الصحة والعافية، استودعك الله.

مالك : سعدت بمعرفتك، أتمنى أن ألقاك ثانية والعراق بألف خير.

صابر : ننتظر عودتك الميمونة بفارغ الصبر، إلى اللقاء.

(يخرجان).

▪ الفصل الثالث

المشهد الأول

(الغرفة)

(يجلس إسماعيل وصابر و إلياس على أسَّرتهم)

إسماعيل : متى سيخرج مالك من المشفى ؟.

صابر : المتوقع أن يخرج اليوم.

إلياس(آسفًا): كان يجب أن نزوره في المشفى، لكننا لم نعلم بالحادث إلا في وقت متأخر.

صابر : زيارتي له مع هاني أسقطت الواجب المترتب عليكم.

إسماعيل : الحمد لله، المهم أنه لم يتأذى كثيرًا.

صابر : صحته جيدة ولا ينقصه سوى الراحة.

إلياس : الراحة سيجدها هنا أفضل مما هي عليه في المشفى.

إسماعيل : الراحة هنا طبيعية، أما في المشفى اصطناعية.

إلياس (يشير بيده يمنة ويسرة): الفرق شاسع بين هواء غرفتنا النقـي، وهواء المشفى العبق برائحة الأدوية والدماء.

(يدخل مالك ببطء)

صابر (يمشي باتجاه مالك): ها قد وصل مالك.

الجميع (يقفون): حمدًا على سلامتك يا مالك.

مالك (يستلقي على سريره): وسلامتكم.

صابر(يجلس على طرف سرير مالك) : كيف تجد نفسك اليوم ؟.

مالك : أفضل حالاً من البارحة بكثير.

إسماعيل (متضرعًا إلى الله): اللهم لا نسألك رد القضاء لكن نسألك اللطف فيه.

مالك (بحزن عميق): لا ضير بأنه قدري، فلو كنت جاذبًا لأنظار الغير لقلت بأن عيونهم رمتني شر رمية.

إلياس : حتى لو جذبت أنظارهم، لا أظن أن عيونهم سترميك جانبًا، أنسيت أن العين أضعف جزء في جسم الإنسان ؟ هل يعقل أن توقع بين الناس كما توقع بين العشاق ؟.

مالك : لا شك أنها أضعف جزء، لكنها أيضًا أقوى جزء، فما تنقله لنا من صور تحتم علينا تحديد مواقفنا تجاهها، إن سلبًا أو إيجابًا، حبًا أو كرهًا، لذا، فهي كما تأسر قلوب المحبين بالشوق والغرام، تملأ قلوب الناس بالبغض والحقد.

صابر : حظك أنك نجوت بأعجوبة.

مالك (يربت على كتفه): أراك عدت إلى حديث الحظ مجددًا، فهمنا أن الرزق عندك يأتي بالحظ، لكن هل للموت والحياة نصيب من الحظ ؟.

صابر(يقف في منتصف الغرفة) : أجل، الحظ، يدخل في التفاصيل، تجده في كل مكان يُفرض فرضًا، ومن غير أن تشعر فيه، لا تشعر فيه إلا عندما تظهر النتائج.

إلياس (ساخرًا) لأنه يدخل في التفاصيل فهو كالشيطان، سأحاول الشعور به في البداية، لأخبره بضرورة أن يرفق بحالي، ولا تأتي نتائجه بعواقب وخيمة تنزل على رأسي كالصاعقة.

مالك (ضاحكًا بشدة): وأنا سأقول له أغرب عن وجهي حيثما كنت، فأنا لا أؤمن بك.

(يدخل زياد ويعقوب، يجلسان على كرسيين)

زياد : حياكم الله، حمدًا على سلامتك يا مالك.

مالك : وسلامتك.

إسماعيل: أهلاً زياد، لماذا أخلفت البارحة بوعدك ولم تأت إلى الصيد؟

زياد (بأسف): اعذرني، لقد كنت في المطار لاستقبال ضيفكم الجديد في الغرفة؛ السيد يعقوب.

صابر(يلوح بكفه) : ذهب هاني، فجاء يعقوب، أهلاً بك بيننا، من أي بلد أنت؟.

يعقوب : أنا من المغرب، أقيم حاليًا في لندن.

إسماعيل : وماذا تعمل في لندن ؟.

يعقوب : أعمل مصورًا في التلفزيون.

إلياس: وهل ستعمل في إحدى الفضائيات هنا ؟.

يعقوب : أيعقل أن مَن يعمل في بريطانيا يتركها ليأتي ويعمل هنا.

مالك : إذًا، ما الذي أتى بك إلى الإمارات ؟.

يعقوب : أولاً جئت هاربًا من صقيع لندن، وثانيًا لتصوير فيلم وثائقي يرصد حالة التطور الاقتصادي السريع في الخليج عمومًا والإمارات خصوصًا.

صابر : هذا يعني أن مقامك لن يطول بيننا.

يعقوب : بودي البقاء أطول مدة ممكنة، لكن ظروف العمل تفرض عودتي بعد خمسة عشر يومًا.

زياد (يشير بيده): وكأن من ينام على هذا السرير مكتوب عليه الرحيل.

مالك (ساخطًا بهدوء): الرحيل من هذا البلد مكتوب علينا جميعًا كالموت، ما الفائدة إذا كسبَ أحدنا مالاً وفيرًا ولا يستطيع أن يمتلك قطعة أرض صغيرة تؤويه ؟.

إسماعيل (عابسًا): الأرض هنا لأصحابها وليست لنا.

مالك (بحدة): وهل نحن أجانب ؟ هل يختلف عرقنا عن عـرق أهلـها كي لا تكون لنا فيها حصة ؟.

إلياس : بالمفهوم العام، نحن عرب، أما الخاص، مَن يملك أكثر؛ سيادته أوسع.

مالك (يتحرك بجنبات الغرفه بانفعال شديد): عن أي سيادة تتحدث وبلاد العرب ممزقة بين عصبية زيد وقبلية عمرو، وبين مصالح أوروبا ونفوذ أميركا، لبنانك الحبيب أوضح مثال.

صابر (يجلس بجانب زياد): زياد يقصد أن هذا السرير الذي نام عليه هاني ورحل سينام عليه يعقوب ويرحـل، هـذا كـل مـا في الأمـر، لا تشطحوا في رأيكم كثيرًا.

مالك (مقاطعًا): ولصالح أي قناة تلفزيونية ستعد تقريرك ؟.

يعقوب : أنا لا اتبع لقناة معينة، أتنقل في العمل بـين القنـوات مـن حين لآخر،التقرير نشاط فردي سأحاول عرضه على عدد من القنوات البريطانية بعد الانتهاء منه.

إلياس : وكم صار لك في لندن ؟.

يعقوب : حوالي خمس سنوات.

إسماعيل : إذًا حصلت على الجنسية البريطانية.

يعقوب (مبتسمًا): كثيرون سألوني هذا السؤال، ربما لأنه يراود مخيلة

كل عربي يأمل بالحصول على جنسية دولة أجنبيـة، لـلآن لم أحصـل على الجنسية.

إلياس: سنوات إقامتك الخمس تكفي لتحصل من خلالها على الهوية البريطانية، فهل تضيع هذه الفرصة الذهبية من يدك؟.

يعقوب (بثقة وثبات): لا أجد ما يدفعني للتخلي عن هويتي العربية، فأولاً وآخرًا سأترك لندن وأعود إلى الرباط.

مالك : لكن الهوية الغربية في هذه الأيام لا تقدر بثمن، وهـي أقـوى وأبلغ شأنًا وحضورًا من الهوية العربية التائهة.

يعقوب (يقف غاضبًا): ليس صحيحًا ما قلت، العكس هو الصحيح أوافقك أن الهوية العربية ليست بهذه القوة والحضور الفاعل، لكنها ليست تائهة.

مالك (مبتسمًا): أعرف ذلك جيدًا، تعمدت اسـتفزازك لأعـرف ردة فعلك ووجهة نظرك.

يعقوب : وماذا تبين لك فيها ؟.

مالك : شيء يدعو إلى الفخار مـن عربـي يـرفض اسـتبدال هويتـه بهوية أخرى.

يعقوب (يجلس متحسرًا): أقول هذا وأصر عليه، رغم جرحي الغائر على بغداد، لو أصاب أحدكم ما أصابني لكفر باليوم الذي ولد فيه.

إلياس : جرحك على بغداد في جسد كل واحد منا.

يعقوب : ليست النائحة كالثكلى.

مالك : ما قصدك ؟

يعقوب (بحزن عميق): ما رأيته وألتقطه من صور في بغداد تقشعر لها الأبدان.

إسماعيل : ومتى ذهبت إلى العراق ؟.

يعقوب : عندما نشبت الحرب الأميركية على العراق، أوفدتني إحدى شبكات التلفزة البريطانية التي كنت أعمل لصالحها إلى بغداد لتغطية أخبار الحرب، بقيت في العراق طيلة أيام الحرب، لم يغمض لي جفن، انتهت الحرب وكان ما كان.

مالك : قلت بأنك التقطت صورًا تقشعر لها الأبدان، ما طبيعة هذه الصور التي التقطها هناك ؟.

يعقوب (يذرع الغرفة جيئة وذهابًا بأسى شديد): صورة سقوط بغداد لا تمحى من ذاكرتي، أقسى وأبشع صورة حينما رأيت الجنود العراقيين يفرون من أرض المعركة كالنعام التي تدفن رأسها في الأرض، الذعر كان باديًا على وجوههم، وكأن الأرض انشقت من تحت أقدامهم.

صابر : ألم يستبسلوا في قتالهم دفاعًا عن بغداد ؟.

يعقوب (آسفًا): جنود العرب البواسل، رأيـتهم بـأم عـيني، يخلعـون بزاتهم العسكرية ضباطًا وأفرادًا ويلقون بأنفسهم إلى سـرير النهـر، هربًا من المعركة، تمنيت أن يصحو جلجـامش مـن غفوتـه لـيرى أي عراق ترك وراءه، وفي أي موقع صارت ملحمته الخالدة.

مالك (يقف غاضبًا ضاربا الحائط بكلتـا يديـه): تبًـا لهـذه الجيـوش الورقية، لقد أصبحت مخصـية لا تقـدم ولا تـأخر شـيئًا، لا تنفـع إلا بالتسبيح والحمد بنعمة قائدها الأعلى دفاعًا عن قصره وخدمة لعلقه الذين يتغذون على دماء شعوبهم المغلوبة.

إسماعيل (يمسك بكوب زجاجي ويرميه أرضًا بغضب شديد):

جيوش كهذه لا تدافع عن أوطانها بقدر ما تدافع عن حكامها، يبـدو أن الطريق أصبح سالكًا أمام أي قوة تجاه أي عاصمة عربية.

زياد (يقف ويربت على كتف مالك): قـادة هـذه الجيـوش المخصـية كالقَواد الذي يدلل على أخته عندما تنفق مومساته، أو حينما تهـبط عليها التوبة.

إسماعيل : دعونا من هذه الحروب المريرة.

صابر (مقاطعًا): ما هي أحوال الجالية المسلمة في لندن؟ هل يشار إلى رفضها من أتباع الديانتين المسيحية واليهودية ؟.

يعقوب : المسلمون في بريطانيا جـزء أساسـي مـن مكونـات المجتمـع البريطاني، الاستغناء عنهم أو تهميشـهم سـيؤدي إلى حـدوث خلـل

كبير في تركيبته، عواقبه لا تحمد، فعندما تستغني عن المسلمين كأقلية، كأنك تستغني عنا نحن اليهود كأقلية أيضًا.

صابر(مندهشًا) : وهل أنت يهودي ؟.

يعقوب (بثقة كبيرة): نعم، أين المشكلة في كوني يهودي ؟.

زياد : لا مشكلة، يبدو أن أغلب الأخوة لا يعرفون شيئًا عن أحوال اليهود في اليمن وتعايشهم مع المسلمين.

مالك (يقف في منتصف الغرفة): الكل يعرف، لكن المشكلة ليست في أن نعرف أو لا نعرف، إنها مشكلة تربوية، سببها الأهل والمناهج التعليمية التي تصور اليهود لأبنائها وكأنهم تسللوا من كوكب المريخ إلى كوكب الأرض، ولا أعرف بالمقابل كيف يصور اليهود الأديان الأخرى لأبنائهم، على كل حال جميعها صور نمطية سقيمة لا تولد سوى الحقد والتباعد بين أديان هذا الكوكب المأهول بالعيش والمعدوم بالتعايش.

إلياس: استمرار الصراع لا ينفع بين دين وآخر، حروب القرون المنصرمة كانت دامية على البشرية، يجب أن يسود السلام في نهاية المطاف.

إسماعيل (متوجهًا برأسه إلى السماء): السلام كلمة تبعث على الارتياح في النفس، مثلما هو من حق غيري أن يعيش، من حقي كعربي فلسطيني العيش بسلام.

مالك : العراك طبع من طباع البشر، يمكن لهذا العراك أن يخبو عندما تتفق إرادتهم على الحياة بدلاً من الموت.

يعقوب (آسفًا): ما يجمع هذه الإرادة ويوحدها موجود في الكتب المقدسة، جميعنا يقول بالسلام ولا يفعله.

مالك (يشير بيده نحو يعقوب): سنفعله حينما تتوقف مصالح أصحاب الصراع وتوضع جانبًا من كل الأطراف.

صابر(يصافح يعقوب) : أهلاً بك أخًا عزيزًا، صدورنا تتسع للجميع أيًا كانوا، يجب ألا ننسى أن أبانا أدم وأمنا حواء.

يعقوب: يغمرني فرح كبير وسعادة غامرة لمعرفتي بكم وإقامتي بينكم.

زياد : بما أني تخلفت عن الوعد الذي كنت قطعته لك يا إسماعيل، فإني أدعوك والأخوة بالذهاب سوية إلى البحر لتناول العشاء معًا.

إسماعيل : طالما أن دعوتك مصحوبة بوجبة عشاء، فنحن ذاهبون معك إلى آخر المعمورة.

مالك (يستلقي على سريره): اعذروني، أنا لا أستطيع الذهاب، أفضل البقاء والراحة.

صابر : نعم،الراحة ضرورية كما قال الطبيب.

مالك : عشاءً لذيذًا وسهرة ممتعة، أرجو أن تطفئوا المصباح، سأنام

زياد : تصبح على خير . (يخرجون)

المشهد الثاني

(الجريدة – غرفة الأخبار)

(يدخل مالك)

مالك : صباح الخير.

تيسير(يعانق مالك): صباح النور، كيف الصحة اليوم ؟.

مالك (يجلس): بألف خير، ذهب الكثير من الألم ولم يبق إلا القليل.

تيسير: ما رأيك بفنجان من القهوة السادة ؟.

مالك : رأيي من رأيك.

تيسير (يتصل بالهاتف) : يا تاتا، أحضر لنا كوبين من القهوة ولا تتأخر.

مالك : ما أبرز أحداث اليوم ؟.

تيسير : حتى الآن جميع الأحداث تعود ليوم أمس، بعد قليل ستبدأ الأخبار تتواتر علينا كالسيل.

مالك : علمت من أخبار الأمس أن أسعار النفط تجاوزت حاجز المائة دولار للبرميل الواحد، ما سبب هذا الارتفاع المفاجئ ؟.

تيسير : بالفعل، ارتفاع أسعار النفط كان الحدث الأبرز بين جميع الأحداث، أعتقد أن تفاعلاته ستستمر خلال الفترة القادمة، ربما سبب هذا الارتفاع سياسي بحت، فعندما تضطرب مكونات المعادلة السياسية تتأثر أسواق النفط فورًا.

(يدخل سونيلا حاملاً القهوة)

سونيلا : تفضلا القهوة.

تيسير: شكرًا جزيلاً يا سونيلا.

سونيلا : العفو. (يخرج)

تيسير : ما سر اهتمامك بهذا الخبر ؟.

مالك : لأني أعددت رسمًا حول موضوع ارتفاع أسعار النفط.

تيسير : ليس لدي تصور معين لكاريكاتير يصف أزمة ارتفاع سعر النفط، أليس بعيدًا عن موضوعات الجريدة ؟.

مالك : قد يكون بعيدًا عن القارئ، لأنه اعتاد على رؤية الرسوم الساخرة كل يوم، سأحاول تقريبه إليه بأسلوبي الخاص.

تيسير : عندما تنتهي من إعداده حبذا لو تطلعني عليه.

مالك (يخرج الرسم من حقيبته ويعطيه لتيسير) : لقد رسمته البارحة لحظة سماعي النبأ.

تيسير (مندهشًا): ما الذي أراه يا مالك ؟ هل يوافق رئيس التحرير

عليه ؟ حقًا إن رسمك جميل لشخص لا أعرف مَن تقصد به، وجيوب ثوبه تكاد تنفجر لكثرة الدولارات، وآخر يجثو أمامه وينبش الأرض بحثًا عن النفط.

مالك : أردت إيصال رسالة مفادها، بين لا مبالاة الشخص المتخم بالدولارات وقرينه الغارق في البحث عن قطرة نفط.

تيسير : رسالتك شديدة الحماوة للمهتمين بالنفط، أخشى أن يسبب لك هذا الرسم بعض القلاقل.

مالك : هذه قناعتي في الحياة، لا أخشى من شيء طالما قناعتي صادقة ومحقة، وما على الآخرين سوى فهمها واستيعابها كل على طريقته.

(يدخل جمال)

جمال : السلام عليكم.

تيسير : وعليكم السلام.

جمال (يجلس): هل من مستجدات على صعيد الأخبار؟.

تيسير : لا يوجد شيء يستدعي الإبلاغ والاهتمام.

مالك (يعطي الرسم لجمال) : ما رأيك بهذا الكاريكاتير ؟ أظن أنه مناسب لحدث اليوم.

جمال (يحدق بشدة) : لا أفهم شيئًا مما تعنيه في رسمك، إلى أين تريد الذهاب بنا ؟.

تيسير : ألم أقل لك يا مالك، إن المزاج العام لا يسمح بنشره رغم جدية وجمالية الكاريكاتير.

جمال (يقف بانفعال): أي جدية وأي جمالية؟ إنه تحقير للذات العربية ومسخ للشخصية الخليجية، هكذا كاريكاتير من شأنه أن يحدث زلزالاً سياسيًا واجتماعيًا في عموم الخليج، لا يمكن لجريدتنا المحافظة أن تكون سببه.

مالك (يقف في قبالة جمال): ومتى كانت الذات العربية سامية بنظر أهلها؟ ثم لماذا تفصل بينها وبين الشخصية الخليجية إن كان يهمك أمرها؟ فالأخيرة جزء من الذات العربية، إلا إذا كانت تعتبر الشخصية الخليجية قائمة بذاتها عندها لا يسمح لأي كاريكاتير المس بها، الكاريكاتير دوره هنا النقد المتساوي لواقع سياسي واقتصادي عنوانه الأبرز النفط، أكثر من كونه نقد تحقيري للشخصية كما تعتقد.

جمال (يرمي الرسم على الطاولة) : تتفلسف وكأنك في برج عاجي، لا يهمك مَن يفهم أو لا يفهم معنى كل ما قلت، الأكيد أنه لن يوجد أحد يفهم عليك، يجب أن يكون الكاريكاتير مستساغًا لعقل القارئ، هذا كل ما لدي من اقتراحات، بإذنك. (يخرج)

مالك : تمنيت أن يجيب على سؤالي بشكل أوضح، لكنه تهرّب راميًا الكاريكاتير وصاحبه بعرض الحائط.

تيسير : العمل بمزاجك لا ينفع، عليك أن تعتاد العمل بمزاجهم.
مالك : لم أكن مزاجيًا في حياتي التي حييتها لهذه اللحظة، ولن أكون، دائمًا أدير الحياة بمزاجية الآخرين لا بمزاجيتي.
تيسير : صار لي في هذه الجريدة وقتًا طويلاً، ولم أواجه أدنى مشكلة، كالتي حصلت معك الآن، لأني وبكل بساطة أنفذ الأوامر الصادرة من دون أن اعترض حتى لو استحق بعضها الاعتراض.
مالك (بحدة): هذه الطامة الكبرى، أتريدني أن أصبح رجلاً آليًا، أنفذ ما أتلقاه من إشارات مرسلة بالريموت كنترول؟، لإرضاء سعادة وفخامة ورفعة هذا الشيخ وذاك الريس، أنت مخطئ لأني إنسان قبل أي شيء، لي من المشاعر والأحاسيس ما يفوق الوصف والتصور، فضلاً عن كوني فنان أُحكّم ضميري بنفسي ولا أدع الغير يحكمونه بمزاجهم ويعبثون به على هواهم.
تيسير : ما تقوله يبرق ذهبًا، لكن العبرة في الخواتم لا في المقدمات، ولا أظن أن بمقدور أحدنا أن يكون إنسانًا كامل الإنسانية كما تريد، وطالما أن البداية تذخر بالأوامر، حتمًا ستكون النهاية طاعة عمياء.
مالك: لأنك فهمت قصدي جيدًا، سأحاول إفهامه للآخرين بشتى السبل رأبًا للصدام.
(يدخل عمران متجهمًا)
عمران : ما المشكلة يا مالك ؟ أخبرني جمال أن ثمة رسمًا مسيئًا قمت برسمه وتريد نشره في عدد الغد.

مالك (يعطيه الرسم) : تفضل، هذا هو الرسم الـذي أزعـج السـيد جمال، وأرجو أن لا يزعج سيادتك.

عمران(يحدق بالرسم) : من أين خطرت لك فكرة رسمه ؟.

مالك: من الواقع الذي نحن فيه.

عمران: وما هو هذا الواقع برأيك ؟.

مالك: واقعنا لا يحتاج إلى شرح أو تفسير، واقع ارتفاع سـعر الـنفط بأرقام قياسية، ونضوبه في البقاع الأخرى من الأرض.

عمران(بانفعال شديد) : تريد أن تحصـي أنفاسـنا، تريـد أن تحاسـبنا على كل نقطة نفط وهبنا إياها رب السماء، أم تريـد أن تسـخر مـن طريقة عيشنا للحياة، إنها حياتنا الخاصة ولا نسمح لأحد أن يتـدخل بها، نأكل ونلبس ونشرب كما نريد لا كما يريد أمثالك.

مالك : سامحك الله، قلبت الأمور رأسًا على عقـب، سـيادتك أسـأت فهمي.

عمران (باستعلاء كـبير): فمهتـك أم لا، هـذا الرسـم السـخيف لا يفهمه أي مواطن إلا على أنه استفزاز مباشر له ولتراث أجداده.

مالك (بحدة): ما دمت اعتبرته استفزازًا ومسًـا بـالتراث، إجمـالاً هـل التراث العربـي مصـون ؟ الكـثير مـن مـواطني هـذه البقعـة الغنيـة بالنفط ولدوا وبفمهم ملعقة من ذهـب، ولم يعـوا تـراث أجـدادهم، لأن ترف الحيـاة وبـذخها أنسـاهم حتـى أسمـاء أنبيـاءهم، قـد تكـون

سيادتك من يعي التراث ويتمسك به بحكم سنك المتقدمة التي أحترم، تأكد أن هذا الكاريكاتير يخاطب عقل القارئ ولا يستثير غريزة أحد أو يلعب على وتر العصبية الحساس.

عمران : مهما يكن حجم الأعذار والتبريرات، فهي لا تقنع أحدًا، لذا، اقترح إتلاف هذا الرسم ووضعه في مكانه المناسب في سلة المهملات، وأحذرك من تكرار هكذا رسم، المعروف عني أني لا أحذر، سأتساهل معك هذه المرة كونك تعرضت لحادث سير، ولا أدري ما إذا كنت بكامل قواك العقلية والجسدية، نفذ ما قلت.

(يخرج)

تيسير : هدئ من روعك، قلت لك العناد لا ينفع، عليك الآن اللحاق بالأستاذ عمران والاعتذار له.

مالك (محتدًا): ليس أنا من يعتذر على خطأ لم أرتكبه، كان بإمكانه رفض الكاريكاتير بطريقة يقبلها العقل، عندها لو كنت مخطئًا سأذهب طالبًا الاعتذار زحفًا على بطني.

تيسير : أقدّر أنك فنان محترف ولست رسامًا هاويًا، وأعلم أن الحق معك، مع ذلك يجب أن تعتذر ولو على مضض.

مالك (يشير بيده للأعلى): إصرارك على الاعتذار، هو بمثابة المهانة التي تجعلني أقول ...

إلفنا أن نعتبر التصاغر أدبًا

والتذلل لطفًا

والتملق فصاحةً

واللكنة رزانةً

وترك الحقوق سماحةً

وقبول الإهانة تواضعًا

وحرية القول وقاحةً

وحرية الفكر كفرًا (١)

إذا كان يهمك الاعتذار، أرجو أن تعتذر بالنيابة عني وأنا لك من الشاكرين.

(يخرج).

(١) : عبد الرحمن الكواكبي – كاتب ومفكر سوري (١٨٥٤– ١٩٠٢)

المشهد الثالث

(في الكافتيريا)

(تجلس سلام على إحدى الطاولات)

مالك : مساء الخير.

سلام : مساء النور، لماذا تأخرت ؟.

مالك : اعذريني على التأخير كله بسبب الجريدة.

سلام : هذا يعني أنك بذلت اليوم جهدًا مضاعفًا في عملك.

مالك (عابسًا): لم أبذل شيئًا سوى الغوص في قعر الخلافات العقيمة مع أسرة الجريدة.

سلام : ويحك! أراك عابسًا، هل حصل خلاف أو سوء تفاهم بينك وبين أحدهم ؟.

مالك: بل خلافات لا تنتهي بسبب أو بدونه.

سلام: أخبرني، ماذا في الأمر ؟ أثرت فضولي.

مالك : ولو أن الأمر لا يستحق باعتقادي إثارة الزوابع الحادة بيني وبين السيد جمال وعمران، لكن ما وسعك فعله مع عقول غاية في

التحجر والتصلب لا تسمح لذاتها بالاستماع لوجهة نظر الآخر.

سلام : في الأمر علة، وعلة الخلاف بحسب ظني رسوماتك، أليس كذلك ؟.

مالك (يعطيها الكاريكاتير): ظنك في مكانه، هذا هو سبب الخلاف.

سلام (ضاحكة): لعمري أنك فنان ماهر تقرأ الواقع بما هو عليه، لا كما تريده أنت، أو من يعمل على توجيهك.

مالك (بجدة): أرجو أن تقولي هذا للسيد جمال وعمران، عسى أن يفهما منكِ ما عجزا عن فهمه مني.

سلام : المشكلة في الأستاذ عمران أنه يريد تسييس الأمور كما يشاء، بغض النظر عن صوابيتها أو عدمه، وهذه المشكلة نعاني منها جميعًا ولا نستطيع إزاءها تحريك أي ساكن.

مالك : تصوري أنه اتهمني بتحقير الشخصية الخليجية والطعن بالهوية العربية، ألهذا الحد تفكيره لا يقبل بالرأي الآخر؟.

(يحضر النادل)

النادل: أهلاً وسهلاً تشرفنا بحضوركما، هل ثمة ما تطلبانه ؟.

سلام: لقد سئمت من المشروبات الساخنة، ما رأيك بالبوظة المثلجة؟

مالك (يومئ برأسه): هي أحسن ما ينعش القلب في هذا الجو الحار.

سلام : أحضر لنا البوظة من فضلك.

النادل : حاضر. (يخرج)

سلام : بما أنك تعمل في الصحافة العربية يفترض أن تغمض عينيك عما حولك، وتفتح أذنك جيدًا لتصغي لما هو مطلوب منك.

مالك (بحدة): يستحيل أن أقبل بما قلتيه، نفسي ليست مطواعة إلا للحق والصواب، تأبى الرضوخ لغيرهما مهما اشتدت المغريات والضغوط.

سلام : وماذا بشأن الكاريكاتير ؟ هل سينشر غدًا ؟.

مالك: كما ترين هو أمامك، أنقذته من الإتلاف فقط لأريكِ إياه.

(يحضر النادل البوظة)

النادل (يضع البوظة على الطاولة) : تفضلا البوظة.(يخرج)

مالك : شكرًا جزيلاً.

سلام : على كل حال لا تقلق بشأن عدم نشر الكاريكاتير، سأحدث الأستاذ عمران بطريقتي التي يفهمها.

مالك: وحول ماذا ستحدثينه ؟.

سلام : حول تضييق هوة الخلاف بينكما.

مالك: أرجو أن لا تفعلي، فأنا لا أحبُ إقحامكِ في إشكال سأعتبره هذه المرة بسيطًا، لأن كفته تميل لصالحي.

سلام : منذ أن أصغيت لأفكارك وأسلوبك في الحديث، شعرت بأنك ستقع في خلاف مع أسرة الجريدة، لا محالة.

مالك (مبتسمًا): وشعورك العميق، ألا يقول بـأني سـأقع في خـلاف معك.

سلام : لا يقول البتة، فأنت الوحيد الذي يستوعب شعوري ويفهمه، كما أفهم وأستوعب شعورك.

مالك : صحيح أني خير مَن يفهم شعورك غير أني لم أفهم التناقض الرهيب بين شخصيتك وشخصـية أقرانـك، سـيما وأنـكِ اعتـبرت الكاريكاتير معبرًا وواقعيًا، أما غيرك اعتبره محقرًا.

سلام : لا يوجد أي تناقض، فأنا ابنـة مجتمعـي الخليجـي؛ عـاداتي لا تخرج عن عاداتهم، وتقاليدهم هـي تقاليـدي، سـواء كانـت باليـة أو حسنة، لكن هناك أمور في الحياة لها طابعهـا الخـاص، لا تسـتطيع أي قوانين على الأرض كبحها، كتقبل الآخر على اختلاف جنسه وعرقه وحتى دينه.

مالك (يحدق بعيني سلام): أنتِ أروع فتاة صغت لهـا أذنـي فطربـت لكلامها العذب الرقيق، أهيب سيدة أبصرتها عيني فعشقت صورتها الفاتنة ووقارها العظيم.

سلام (بخجل شديد) : الآن لم أعد أفهم شيئًا، هـل مـا قلتـه مصـدره قلبك أم شعورك؟.

مالك (يتنهد): وما يهم أكـان مـن قلـبي أو مـن شـعوري، إنـه مـن كليهما ومن كل جزء حي في جسدي وروحي.

سلام : ما قلته قبل قليل سبقتني في قول بعضه.

مالك: كنت متوقعًا ذلك بين فينة وأخرى، فعندما يسير قطار الشوق على سكته لا يستطيع أحد إيقافه.

سلام : في النهاية سيقف، إما قسرًا أمام عائق يضعه الحاقدون محدثًا صدامًا كبيرًا معهم، أو طوعًا ليستبدل الشوق بشوق آخر أحر وأشد وهجًا.

مالك (بحدة): أرجو أن لا يعكر ما اسميتيهم بالحاقدين صفاء سعادتنا وهناءها التي شرعنا ببنائها، لو فعلوا، أقسم أن نار الشوق التي تكوي قلبنا ستحرق ظهورهم أينما كانوا.

سلام : تأكد أن الحاقدين لن يضعوا عائقًا أمامنا إلا حين يدرون ما يدور بيننا، وكي لا يدروا ما الذي يدور في قلبنا، عاهدني على أن يبقى شوقنا خافيًا عنهم.

مالك (مبتسمًا): قديمًا قالوا إن أروع أنواع الشوق ما أبطنه القلب وأخفته الروح، ولأجل نقاوة شوقنا سأقطع عهدًا على نفسي بألا يخرج من حضننا الدافئ، لكن لماذا كل هذا الخوف من هؤلاء الحاقدين ؟ أين هم ؟.

سلام : إنهم يحومون كالذباب الأسود في كل مكان، لا يخافون بل يخيفون، يدنسون بنار حقدهم وخسة طباعهم كل مقدس، يفسدون طهارة المؤمن، ويخدشون حياء الشريف، ويلوثون شوق المحب.

مالك (بحدة): اعلمي أن دفاع الحبيب عن حبه، أشد من دفاع العسكر عن ثكناتهم، في حبه يدافع عن شرفه وعرضه وحياته، ولا يهدأ دفاعه إلا إذا تبين أن حبه مزيف كالعسل المغشوش.

سلام (متحسرة) : لو أنك ابن هذا البلد، لتلاشى الخوف من قلبي، ولوجدتَ مَن يبارك لقاءنا ويثني عليه، أما أن تكون أجنبيًا، فهذا ممنوع عليك، حتى لو كنت ملاكًا سماويًا.

مالك (يشهر يده بوجه سلام) : إني بشر، لساني من لسانكم ودمي من دمكم، لو أقصت الصحاري بواحاتها الواسعة والبحار بأعماقها الشاسعة ما بيننا، فإن قلب عبلة سيظل يخفق مع قلب ابن عمها عنترة.

سلام (تنظر جانبًا) يا إلهي ما الذي أتى به إلى هنا؟.

مالك : ما بك ؟.

سلام (باضطراب شديد) : يا للمصيبة لقد رآني ابن عمتي عماد الشر يتطاير من مقلتيه، إنه يجلس على تلك الطاولة التي على يسارك.

مالك (يلتفت شمالاً) : وما المشكلة في ذلك ؟.

سلام (مرتبكة): أعظم ما أخشاه أن يخبر أهلي بما رآه بسوء نية.

مالك : هدئي من روعك، لا تقلقي بشأنه.

سلام (تقف): لم أعد أطيق وجوده، هيا لنخرج من هنا.

مالك : هيا بنا.

(يخرجان).

▪ الفصل الرابع

المشهد الأول

(الغرفة)

(يستلقي إسماعيل على سريره، بينما يجلس يعقوب وإلياس وصابر على الكراسي).

يعقوب (متأففًا): ما أقسى حرارة هذا الجو !.

إسماعيل : لو أطلت إقامتك بيننا لاعتدت عليه.

يعقوب : عندما يكون الطقس قارصًا مرة، وحارًا مرة أخرى، يحار المرء أي طقس يختار، على أي حال سأختار الطقس القارص مرغمًا لأني عائد إلى عاصمة الضباب اليوم.

إلياس (مبتسمًا): يا للمصادفة، وأنا عائد إلى بيروت أيضًا.

صابر : ما القصة ؟ جميعكم ينوي الرحيل فجأة.

يعقوب : بالنسبة لي أنجزت جميع المهام الفنية التي يحتاجها التقرير، ولم يبق أمامي سبب آخر للبقاء.

إلياس : أما أنا ، لقد انتهت مدة إقامتي منذ يومين ، ولا أجد ما ينفع

لتجديدها، فأجور الصحافة في بيروت أجدها أفضل، قياسًا للأجور هنا التي لم تعد تتساوى مع الارتفاعات الحادة للأسعار.

صابر : وأنت يا إسماعيل، ألا تريد العودة أيضًا ؟.

إسماعيل (ينهض من سريره متحسرًا ويقف في منتصف الغرفة): أنا أحلم بالعودة إلى بلدتي جنين، ليس الآن، لأن الظروف على الأرض لا تسمح، لو توفرت، سأعود بدون تردد.

يعقوب(يمسك بيد إسماعيل): ستعود إلى جنين مهما طال بك الزمن لا بد أن يسود السلام رغم أنف الرافضين.

إلياس (يقف بين إسماعيل ويعقوب ممسكًا بيدهما): أجل، مع السلام تهدأ الأرض وتعود إلى أهلها، وفيه تصفى القلوب وتطهر الأبدان والأرواح، لنصلي من أجل أن يزهر السلام.

(يدخل مالك عابسًا)

مالك : مسأء الخير، ما بكم تصطفون كالبنيان المرصوص ؟.

إسماعيل : بل ما بك أنت ؟ أراك عابسًا، ما الأمر ؟.

مالك : دبّ خلاف عميق بيني وبين أسرة الجريدة، لأسباب تافهة لا تستحق الذكر.

إلياس : تقول خلاف عميق وأسبابه تافهة،أرجو التوضيح.

مالك (يخرج الكاريكاتير من حقيبته ويضعه على الطاولة): هذا هو السبب الرئيسي للخلاف، فما رأيكم ؟.

(ينظر الجميع إلى الكاريكاتير)

إلياس : رسم جميل ومعبر، حقًا إن ارتفاع تكاليف المعيشة سببها ارتفاع سعر النفط بشكل مهول، ولا اعتقد أنه يستحق الخلاف، بل يضع النقاط على الحروف.

إسماعيل : أصبت يا أخ مالك، بالفعل هناك مَن يكدس مليارات الدولارات في جيوبه ولا يزيد فلسًا واحدًا في جيوبنا، أقصد في أجورنا.

صابر (عابسًا): على نفسها جنت براقش، ألم أقل لك ضع معتقداتك جانبًا قبل أن تشرع في العمل، عنادك هذا سيوصلك إلى طريق مسدود، ولن تجد المخرج إلا بالإقلاع عنه.

مالك (يضرب بيده على الطاولة) : لا أعرف لماذا تتحامل عليّ ؟ تقويمك لسلوكي يأتي بعكس ما اشتهي، تمنيت مرة واحدة أن يكون منصفًا، فبدلاً من أن تطفئ النار تعمل على إشعالها.

صابر : سامحك الله، تقويمي لك من باب الحرص لا أكثر.

مالك (بحدة): أسطوانتك هذه، لكثرة سماعي لها أضحت مشروخة حاول استبدالها بأخرى حينها سأقبل تقويمك أيًا كان.

يعقوب: لا تعليق على ما أراه، رسمك الواضح البديع، كالصورة التي تعبر عن ألف كلمة، فهو نابع من رحم الواقع ومن أعماق ذاتك، مكانه الصحيح ليس هنا.

مالك : أين مكانه إذًا ؟.

يعقوب: عند مَن يُقدر ما تبدعه روحك ويقبل ما ينتجه عقلك، لطالما أوصدت جميع الأبواب في وجهك، فلا مكان لك بعد الآن إلا في ربوع الغرب.

مالك (شاردًا بحزن): الغرب، آخر ما كنت أفكر فيه، رغم أفضال مدارسه العريقة التي ساهمت في ارتقاء مستوى فني، كيف سأذهب إليه وقد صار لي قلبا أصيلاً يخفق شوقًا مع قلبي؟.

إلياس (بدهاء): ومَن هو صاحب هذا القلب الذي أسَرَ قلبك ؟ القلوب هنا يصعب أسرها، ومحرم عليها أن تجد وليفها.

مالك (بارتباك) : آه، لا شيء، لا شيء.

صابر : قلب مالك على الوطن قبل أي شيء آخر.

مالك : نعم صدقت يا صابر، أحسنت فهمي.

إسماعيل : يبدو أن صابر استبدل أسطوانته المزعجة كي لا يُحرج مالك ويثير غضبه، وما أدرانا ما في القلب، فما يظهره ليس كما يبطنه.

يعقوب (يعطي مالك بطاقة تعريف): أخي مالك، هذا عنواني في لندن إذا تيقنت أن لا فائدة من بقاءك هنا، فقط اتصل بي وستجدني في انتظارك.

مالك : شكرًا على ثقتك الغالية، لن أنسى موقفك الطيب ما حييت.

يعقوب: اسمحوا لي حان وقت السفر، أتمنى أن ألقاكم ثانية.

مالك(يعانق يعقوب): سررنا بلقائك.

يعقوب : السلام عليكم. (يخرج)

إسماعيل : وماذا ستفعل بشان العمل في الجريدة؟.

مالك (بثقة): لن أتزحزح من الغرفة، ولن أعود قبل أن أسمع اعتذارهم.

إلياس : لا تعقد المسألة أكثر مما تستحق، فكما ترى البحث عن عملٍ جديد أصبح أمرًا صعبًا للغاية.

مالك (يجلس على سريره): مشكلتي، أني لا أرضى مزاولة أي عمل آخر غير عملي الأساسي، لن أتنازل عن موقفي قيد أنملة.

صابر (باستهزاء): إذا رغبت العمل في مجال الإعلان، أكتب لي طلبًا وسأطرحه على مديري غدًا، عسى أن يوافق.

مالك (بحدة): أظنك سمعت ما قلته قبل قليل، شكرًا لحرصك البالغ، قد أعود إلى العمل إذا راجعت حساباتي جيدًا.

صابر : فعلتُ ما يمليه الواجب تجاهك كصديق عزيز، قبل انتقالي إلى أبو ظبي غدًا.

مالك : لماذا ستنتقل إلى أبو ظبي ؟.

صابر (فرحًا): لأن المدير قرر نقلي إلى الفرع الجديد للشركة.

مالك (يمشي آسفا وحزينًا في أرجاء الغرفة): ما السر وراء انفراط عقدنا واحدًا تلو الآخر ؟ أهي مشيئة القدر، أم أن الهمّ الواحد الذي جمعنا تحت سقف هذه الغرفة لم يعد موجودًا فينا ؟.

إسماعيل : الهم موجود فينا رغم اختلاف اعتقاداتنا وآراءنا، وكلما حاولنا الالتقاء ثمة مَن يعمل على ضربه وإضعافه.

مالك (يهم بالخروج) : للأسف مَن يبدد شمله، أبناء جلدتنا الغيارى بسلاح مصالحهم وجشعهم الذي لا يرحم.

صابر : أراك تهم بالخروج، إلى أين ؟.

مالك (ساخطًا): سأذهب إلى البحر شاكيًا ونافضًا همي له.

صابر : سآتي معك، هل تسمح لي بمصاحبتك ؟.

مالك (يشير بيده نحو الجميع): البحر ليس ملكًا لي لأمنعكم من الذهاب، بإمكانكم مصاحبتي لو أردتم.

إسماعيل : لن نخذلك سنذهب معك، هيا بنا.

(يخرجون)

المشهد الثاني

(منزل سلام)

(تجلس سلام في غرفتها تكتب ويدخل والدها ووالدتها).

والدها (متجهمًا) : ماذا تفعلين؟.

سلام (تبتسم): أكتب مقالاً للجريدة، سأقرؤه لك بعد الانتهاء من كتابته.

والدتها (بحدة): أجيبي على سؤال والدك ولا تتهربي.

سلام (باضطراب): لكنني أجبت على السؤال الذي سأل.

والدها : يبدو أنك غارقة فعلاً في عقد اللقاءات الجانبية من وراء ظهري، لهذا السبب أصبح استيعابك لنا ضعيفًا، أين كنتِ اليوم ؟.

سلام (بارتباك) : أين كنت ؟ كنت في الجريدة، وأين سأكون في غير الجريدة؟.

والدتها : سألت هذا السؤال لنفسكِ فأجيبي عنه.

سلام : قلتُ لكما بأني كنت في الجريدة ولا أضيف حرفًا واحدًا على ما قلت، ما بكما لا تصدقاني ؟.

والدها (بهدوء): أجدك مضطربة على غير عادتك، ما السر في ذلك؟

سلام : لست مضطربة، إن بدا عليّ الاضطراب فهو بسبب أسئلتكم المحيرة.

والدها (غاضبًا): مع مَن كنتِ اليوم ؟.

سلام (بحدة): فعلها النذل.

والدتها : ماذا قلتِ ؟.

سلام : أبدًا لم أقل شيئًا، إنها زلة لسان.

والدها : أجيبي ولا تتهربي.

سلام (بنزق شديد): يا إلهي، على ماذا سأجيب ؟ تعاملاني وكأنني ارتكبت إثمًا لا أراه.

والدتها : إثمك أكبر من أي إثم آخر.

والدها (يتأفف بغضب): مع من كنتِ تجلسين اليوم في الكافتيريا ؟.

سلام : مبدأي في الحياة الصراحة ثم الصراحة، حياتي كلها قائمة على الصراحة.

والدتها : لا تناوري معنا، نعرف الحقيقة ونريد سماعها منك يا أم الصراحة.

سلام (تقف واثقة) : كنت في الكافتيريا مع زميلي في العمل الأستاذ مالك، ولم ارتكب إثمًا كما تظنان.

والدها (يومئ برأسه): صدقنا أنه زميلك في العمل، لكن ماذا كنـتِ تفعلين معه في الكافتيريا ؟.

سلام : بحثت معه بعض الأمور المتعلقة بعملنا في الجريدة.

والدها (بانفعال): ألا يوجد مكان في الجريدة للبحـث، هـل ضـاقت بكما ؟.

سلام : طوال حياتكما؛ ثقتكما بي لا حدود لها، أرجو استمرارها وألا يساء فهمها.

والدتها : ما فعلتيه اليوم لم يترك للثقة مكان بيننا.

سلام : مثلما تعرفان حقيقة اللقاء، فأنا أعرف أيضًـا المصـدر السـيئ الذي نقله لكما، وهو تعمد الإساءة لضرب الثقة بيننا.

والدها (يضرب بيده على رأسه): ليـتني لم أعـرف بلقائـك المشـئوم، لظل بالي مرتاحًا، لكن ما موقفي الآن أمام أقاربك ؟ ماذا سأقول لهم إذا سألوني عن هذا اللقاء المشئوم ؟.

سلام : لا تقل شيئًا، سيقدرون بأنفسهم أن الموضوع بسيط.

والدتها (تلوح بيدها): هيهات أن يحسـنوا التقـدير، سـيرتنا سـتلوك بها ألسنتهم بمناسبة أو بغير مناسبة.

والدها (يشهر يده بوجه سلام): ذنبك لا يغتفر، أمامك واحد مـن اثنين، إما أن تتزوجي ابن عمتك عماد الذي سبق وطلب يـدك مـني لأكثر من مرة، أو تتركي العمل في الجريدة.

سلام (بانفعال شديد): لن أتزوج النذل الذي وشوش لكما بخسة لو لم يبق في الدنيا رجل سواه، ولا يمكنني ترك العمل في الجريدة.

والدها (يصفعها على وجهها) : تتطاولين علي بكل دناءة واحتقار يا سافلة، بعد فعلتك السوداء التي جلبت لنا العار، من الآن فصاعدًا لن أدعك تذهبين إلى الجريدة.

والدتها (تحضن سلام) : هداكِ الله، أهكذا تخاطبين والدك ؟.

والدها (بحدة): اسمعيني جيدًا، إذا حاولت الخروج من غرفتك سأنزل سقفها على رأسك. (يخرج)

سلام (تجهش بالبكاء) : يعاملني بوحشية وكأنني جاريته ولست ابنته.

والدتها : لا تقولي هذا بحق والدك، ساعة غضب وتزول.

(يُقرع باب المنزل تذهب والدتها لتفتح)

هلا : مساء الخير.

والدة سلام (عابسة) : أهلاً بكِ ، سلام تنتظرك بغرفتها.

هلا (تحضن سلام): سلام ما بكِ ؟ لماذا تبكين ؟.

سلام (تنشج) : لقد ضاع مستقبلي يا هلا.

هلا (تجلس) : شغلتني، بالله عليك، أفضي ما بداخلك، كأنك غير سلام التي أعرفها.

سلام : هل تذكرين الفنان مالك الذي صدفتيه معي بالجريدة ؟.

هلا : نعم تذكرته ما به ؟.

سلام : التقيت معه اليوم خارج الجريدة، فعلم والدي بلقائنا من خلال ابن عمتي الكريه الذي كان يراقبني ذهابًا وإيابًا.

هلا : وماذا كانت ردة فعل والدك ؟ لا تقولي إنه...

سلام : نعم، ضربني كما يضرب السيد عبده الذليل، وفوق ذلك منعني من الذهاب إلى الجريدة.

هلا (تقف غاضبة): إلى متى سنبقى نُعامل كالجواري ؟ نُضرب ونُسجن ونُمنع من العمل كلما ثارت ثائرة ولاة أمرنا لأعرافٍ بالية لا تمت لواقعنا الحي بصلة.

سلام : أوصيكِ أن تخبري مالك، ما حصل معي بالتفصيل.

هلا : ولماذا لا تفعلين ذلك بنفسك ؟.

سلام (تمشي في أرجاء الغرفة وتتأمل في جدرانها): لقد حكم عليّ والدي بعدم الخروج من البيت وهددني بالشر المستطير إذا خالفت حكمه.

هلا : أعدكِ بأني سأخبره، لكن عديني أولاً أن لا تبقي على هذه الحالة السيئة.

سلام : أشعر أن الدنيا بدأت تضيق بي داخل هذه الغرفة، وأن همومها تدور في رأسي دون توقف.

هلا : كربتك هي كربتي، فقط اصبري، فالصبر مفتاح الفرج.

سلام (تجثو على ركبتيها مطرقة برأسها): كيف أصبر وحياتي انقلبت إلى جحيم أسود ؟.

هلا : تأكدي أن والدك سيصالحك ويسامحك قريبًا، الظفر لا يخرج من اللحم.

سلام (بأسى): أنت كمن يضرب الماء فلا يجد سوى الماء، ولا يحصل على مبتغاه الذي دفعه لضرب الماء، والدي وأعرفه جيدًا، عندما يخرج عن طوره، لا يقيم وزنًا لأحد، بما في ذلك علاقتي الخاصة به كابنته الوحيدة.

هلا : وكأن عينًا حاسدة أصابتك، فرمتك في واد سحيق لا مخرج منه.

سلام (تقف ممتدة): إنها عين ابن عمتي الحاقدة الذي شعرت أنه يراقبني خطوة بخطوة.

هلا : وماذا يريد هذا الأبله منك ؟.

سلام : يريد إفساد سعادتي انتقامًا لرفضي المتكرر بالزواج منه، وأراه أفسدها.

هلا (تربت على كتفها): لا أحتمل تعاستك الدائمة، اطلبي ما تشائين وستجديني طوع بنانك.

سلام (تضع يدها على وجنتيها): حياتي كلها تعاسة بتعاسة، أجد بلاءها مكتوبًا أمامي بالخط العريض.

هلا : سأدعك تنامين قليلاً، وأعدك بأني سأبقى إلى جانبك في محنتك هذه.

سلام : قبل أن تذهبي لا تنسي ما أوصيتك إياه بشأن مالك.

هلا : اطمئني، لن أنسى، وداعًا.

(تخرج).

▪ الفصل الخامس

المشهد الأول

(الجريدة – غرفة الأخبار)

(يدخل مالك)

مالك : صباح الخير.

تيسير : صباح النور، لم أركَ البارحة، أين كنت ؟.

مالك (يجلس): هل سأل أحد عني ؟.

تيسير : أبدًا، هل لي أن أعرف سبب غيابك يوم أمس ؟.

مالك: بسبب الكاريكاتير الذي هز مشاعر السيد جمال وعمران، وكدت لأجله أطيل غيابي عنكم، فلولا الاحترام والتقدير الذي أبدته الآنسة سلام؛ لتركت العمل نهائيًا.

تيسير : بقدر ما أجدك مرنًا، أجدك أحيانًا صعب المراس.

مالك (يقف) : لو سأل أحد عني، أنا في مكتب الآنسة سلام.

تيسير : انتظر قليلاً، مكتبها مقفل منذ يومين.

مالك: ما السبب ؟ هل جاءت البارحة في غيابي ؟.

تيسير : اعتقد أنها تقضي إجازتها السنوية.

مالك (يهمس بصوت منخفض): إجازة، لكانت أخبرتني بذلك.

تيسير : ماذا قلت ؟.

مالك (مرتبكًا): لا شيء، لا شيء.

(تدخل هلا)

هلا : السلام عليكم.

تيسير : أهلاً، تفضلي.

هلا (تشير بيدها نحو مالك): أظنك الأستاذ مالك.

مالك (مستغربًا): نعم، أنا مالك.

هلا : لو سمحت أريد التحدث معك في أمر هام.

مالك (مبتسمًا): بكل سرور تفضلي.

تيسير : بالإذن منكما، سأذهب لمكتب الأستاذ جمال.

هلا : هلا؛ عرفتني جيدًا ؟ أنا هلا صديقة سلام.

مالك : آه، نعم، تذكرتكِ جيدًا، أين سلام ؟ ما أخبارها ؟.

هلا (بدهاء وخبث): ولماذا تريد معرفة أخبارها ؟.

مالك: لأنها زميلتي في العمل، ومن أكثر الناس احترامًا، سؤالك ليس بريئًا.

هلا (بحزن وألم): صديقتك سلام مسجونة في غرفتها.

مالك (بحدة): مَن سجنها ولماذا ؟.

هلا : عندما علم والدها بلقائكما أقام الدنيا على رأسها ولم يقعدها.

مالك: وكيف علم باللقاء ؟.

هلا : عن طريق ابن عمتها الذي كان يراقبكما أثناء اللقاء.

مالك (يمشي ثلاث خطوات ويستدير): تبًا له يا لخسته وحقارته، لو عرفت أين هو الآن لحطمت رأسه العفن.

هلا : أجّل تصفية الحسابات لوقت آخر، المهم يجب أن نفكّ سلام من قيدها، فكر معي بذلك.

مالك (بضيق شديد): لا أعرف ماذا سأفعل ؟ وكأن القيد الذي في يدها انتقل ليكبل يدي.

هلا : على أي حال، من جهتي أديت ما أوصتني به سلام، هل ثمة ما توصيني به لأقوله لها ؟.

مالك (يجلس خلف الطاولة ويكتب رسالة): سأكتب لها بضع كلمات، أرجو أن توصليها.

هلا : لأجل سعادتها سأكون ساعية بريد لنقل الرسائل بينكما.

مالك (يطوي الرسالة) : هاكِ الرسالة، أبلغيها عظيم سلامي وقولي لها إن أشواقي الحارة لن تفتر رغم غيابها الطويل عني.

هلا : لن أبلغها شيئًا، رسالتك هي التي ستبلغها ما أردت.

(تخرج)

مالك (شاردًا بحزن عميق): صدقتِ يا سلام، يبدو أن ثمة عائقًا كبيرًا أوقف قطار شوقنا.

(يدخل تيسير تزامنًا مع خروج مالك)

تيسير : إلى أين يا مالك ؟.

مالك (عابسًا): إلى الجحيم!.

(يخرج)

المشهد الثاني

(غرفة سلام)

(تجلس سلام خلف طاولتها وتكتب)

سلام : نفذ صبري، لماذا تأخرت هلا ؟.

(يقرع باب الغرفة،تدخل والدتها)

سلام : قطعًا إنها هلا، هلمي بالدخول.

والدتها : عمتٍ مساءً.

سلام (عابسة): خاب ظني، أهلاً أمي.

والدتها : همتك عالية ماذا تكتبين ؟.

سلام : لا شيء، قليلاً من الشعر عله يؤنسني في عزلتي الأبدية.

والدتها (مبتسمة): ستخرجين من هذه العزلة حالاً، لأن مسببها جاء يلتمس عذركِ، فما قولك ؟.

سلام : ما قصدك ؟ أوضحي من فضلك.

والدتها : قصدي واضح، أدخل يا عماد.

(يدخل عماد ضاحكًا)

عماد : مرحبًا.

سلام (مندهشة): هذا أنت، آخر ما كنت أتوقعه أن تـأتي وتعتـذر، بعد فعلتك الشائنة التي لا يفعلها رجل برأسه عقل.

والدتها : لا يجوز هذا الكلام، هيا سامحيه، لتستحقي اعتذاره.

عماد (باستعلاء): دعيها وشأنها، عنادها لن يفيدها.

سلام (تقف غاضبة): أنا لا استجدي الاعتذار من أحد خصوصًا ممن أساء لي أمثالك، كيف تسمح لنفسك بمراقبتي كالجاسوس الوضيع؟.

عماد (ساخرًا): ينطبق عليـك المثـل القائـل، رضـينا بـالبين لكنـه لم يرض بنا.

سلام (تشهر سبابتها في وجه عماد) : أخرج من هنا، يا سافل لا أريد أن أرى وجهك الوقح بعد الآن، سحقًا لك من شيم الرجال.

عماد (باستهزاء): أفزعتني كثيرًا، كلامـك هـذا سـتدفعين ثمنـه غاليًـا وستندمين على كل ما قلتيه.(يخرج)

والدتها : سامحك الله، ماذا لو أخبر والدك أنك شتمته وطردته ؟.

سلام (بحدة): إنسان كهذا، يستحق أكثر من الطرد والشتم، فليذهب إلى البحر ويشرب من مائه المالح، لعل جوفه يتطهر مما علـق بـه مـن سموم، بدلاً من أن ينفث بها علينا.

والدتها : ترمين بأغلاطـك الفاحشـة تجـاهي وتحملـيني وزرهـا أمـام والدك والآخرين.

(يقرع الباب)

سلام : دعوني لوحدي، توجيهاتكم ثقبت رأسي، الباب يقرع، هل استطلع القارع؟.

والدتها (بحدة): ابقي مكانك، لا تخالفي تعليمات والدك، سأذهب بنفسي. (تخرج)

سلام (شاردة): ليس من عادة عماد الاعتذار عن أخطائه، ترى من الذي بعثه ؟ وما الغاية من وراء اعتذاره ؟.

(تدخل هلا)

هلا (بخبث): أين وصلتِ في شرودك ؟.

سلام : آه، أهلاً هلا، انتظرتك طويلاً، لماذا تأخرتِ ؟.

هلا (تعطيها رسالة مالك) بسبب هذه الورقة اقرئيها وستعرفين لماذا تأخرت؟.

سلام (تقرأ الرسالة بصوت مرتفع) : حبيبتي سلام، لقد علمت بمصابك العظيم من خلال هلا، لا تيأسي تمسكي بحبال الأمل، سأظل قريبًا منك رغم بعدك عني، تيقنت أن حبنا الذي بدأ بطيئًا وقف سريعًا، بغير إرادتنا، وبإرادتنا الواحدة سيعود، حياتي وحبي وفني رهن إشارتك... حبيبك مالك.

هلا (تضع يدها على قلب سلام) : قلبك يخفق حبًا وينبض شوقًا، وها قد أعاد إليك الحياة.

سلام (مبتهجة): لقد دبّ دم الحياة في عروقي وشراييني التالفة.

(يدخل والدها هائجًا، يخرج من جيبه نصلاً حادًا يشهر بـه في وجـه سلام، تحاول والدتها منعه لكنها تفشل، يغرز نصـله الحـاد في صـدر سلام، تسقط أرضًا ورسالة مالك في يدها اليمنى مبللة بالدم، تلتقط هلا الرسالة من يد سلام وتصرخ هاربة).

والدها (يشهر النصل في وجه سلام): تظنين أني لم أسمعك، سـأمزق عروقك يا ابنة الـ...

سلام (تهلع) : لا، لا تفعل يا أبي.

والدتها (تمسك بيـد زوجهـا) : دعهـا وشـأنها، أنسـيت أنهـا ابنتنـا الوحيدة ؟.

والدها (يدفع زوجته جانبًا فيسقطها أرضًا، يسـدد النصـل في صـدر سلام) : سأغسل عارك بهذا النصل.

هلا (تلتقط الرسالة من يد سلام وتصرخ) سلام، لقد ماتـت سـلام، ماتت سلام.

(تخرج مسرعة).

المشهد الثالث

(الجريدة - غرفة الأخبار)

(يدخل مالك غاضبًا)

تيسير : ما بك يا مالك ؟ أجدك اليوم على غير عادتك.

مالك (يجلس): لا أدري أشعر بأن هذا اليوم أسوأ أيام حياتي.

تيسير : ما دهاك ؟ لا تشغل بالي.

مالك : بالوقت الذي تفهمت فيه مزاجية السيد جمال وعمران، عادا وأساءا فهمي لهما ثانية.

تيسير: ولماذا ؟ هل قدمت لهما رسمًا لم يفهمانه ؟.

مالك (بغضب شديد): نعم،ومتى كانا يفهمان هذا النوع من الفن؟.

تيسير : بصرف النظر عما جرى بينكم، فأنت لست على ما يرام، فمنذ أن سألتني عن الآنسة سلام، وأنت شديد الاضطراب.

مالك (باضطراب): سلام، وما علاقتي بها ؟.

تيسير (بخبث): هذا ما لا أعرفه، وما أريد معرفته.

مالك (يقف) إذا عرفت شيئًا أرجو أن تخبرني.

(يدخل جمال حاملاً الكاريكاتير بيده)

جمال (يرميه على الطاولة): تعليمات الأستاذ عمران تقول إن مصير هذا الرسم إلى سلة النفايات.

مالك (بحدة) : وماذا يريد مني أن أفعل أكثر من هذا ؟.

جمال (متجهمًا) : لا أعلم، أذهب وأسأله بنفسك.(يخرج)

مالك : يا إلهي ألم أقل لك إن هذا اليوم الأسوأ في حياتي.

تيسير : حسبي الله، اجلس وأنا سأذهب بنفسي لأكلم الأستاذ عمران بشأنك.

مالك (يمشي ثلاث خطوات مطأطئًا برأسه بنزق شديد): سئمت العمل والمعاملة في هذه الجريدة.

(تدخل هلا لاهثة، تحمل الرسالة في يدها، تصادف مالك أثناء خروجه، تعطيه الرسالة فيتسمر مذهولاً)

هلا (تعطيه الرسالة): مالك، سلام، يا مالك.

مالك (مذهولاً): إنها رسالتي، ما بها سلام ؟.

هلا (تدمع عينيها): لقد ماتت، ماتت سلام.. قتلها والدها، ولم يبق منها سوى هذه الرسالة.

مالك (يجثو على ركبتيه ممسكًا الرسالة بكفيه وعيناه تذرفان الـدمع):
ماتت سلام، ولم تمت كلماتي، ليتها ماتـت، لمـتُ معهـا، مـاذا بقـي في الحياة ؟ لم يبق شيئًا، لوحـة حبنـا وتآخينـا الـتي رسمتهـا بريشـة ديننـا الواحـد وعرقنـا الواحـد تشـظت شـرقًا وغربًـا بسـيوف جهلنـا وشعارات غرورنا، ولهذا أصـبح حبنـا محرمًـا ممنوعًـا، ودمنـا رخيصًـا مهدورًا، ونفطنا ثمينًا منهوبًا...

ماتت سلام، مات السلام.

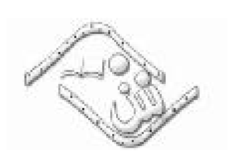




الكاتب في سطور

- كاتب وإعلامي سوري من مواليد محافظة الرقة في ٨/٣/١٩٨٢
- ليسانس إعلام، جامعة دمشق، عام ٢٠٠٥
- مراسل قناة زنوبيا الفضائية في القاهرة
- عمل محررًا في وكالة الأنباء السورية (سانا) عام ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦
- ناشر في جريدة المحرر العربي اللبنانية عام ٢٠٠٤
- كاتب صحفي مستقل في عدد من الصحف العربية.

- البريد الإلكتروني: thaaer-1@hotmail.com



شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890065/64


شمس
ش
للنشر والتوزيع
٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤ (٢+) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (٢+)
www.shams-group.net